

الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ رَثَوْا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ الْمَوْتِ

جَمَعَ وَتَقَنَّنَ: عَبْدُ الْمَعِينِ الْمَلُوحِي

دَارُ الْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ
بَبْرُوت

المقدمة

عندما كنت في الصين وأصبت بجلطة في الدماغ وشلل في الشق الأيسر وأشرفت على الموت بدأت بقصيدي في رثاء نفسي ومطلعها:

تميت يابن الرب لو بت ليلة (بجنب الغضا تزجي القلاص النواجيا)
وأمنيقي لو بت في حص ليلة فأسبح في العاصي وألفي لدانبا
وبعد عودتي إلى دمشق من الله على بالشفاء فأتممت القصيدة وتكرم الأخ الأستاذ
مدحة عكاش، صاحب مجلة الثقافة، فنشرها على حسابه الخاص عام ١٩٨٤ .

وخلال سنوات مرضي، ثم شفائي بحمد الله زاد اهتمامي بالشعراء الذين رثوا
أنفسهم قبل الموت، وبدأت أجمع أشعارهم المتناثرة في بطون كتب التراث العربي، وفي
دواوينهم إن كانت لهم دواوين فتجمعت لدي قصائد غير قليلة لشعراء كان بعضهم
مشهوراً، وكان بعضهم مغموراً فرغيت في جمع هذه القصائد في كتاب واحد، خدمة
للتراث العربي وتيسيراً للقارئ العربي المهتم بتراث أجداده.

وصنفت هؤلاء الشعراء حسب تسلسلهم في الزمان، لا حسب قيمتهم أو قيمة
قصائدهم. وبعد أن صنفت هؤلاء الشعراء أضفت إلى الكتاب قصائد ومقطوعات
نظمها بعض الشعراء خلال حياتهم وهم يفكرون بمصيرهم، أو رثوا بها أصدقاءهم
وكتبوها على قبورهم أو نظموها لتكتب على قبورهم بعد موتهم وجمعتها تحت عنوان
(متفرقات) وخصصت كل شاعر منهم بكتابة اسمه قبل أبياته:

أما الشعراء الذين رثوا أنفسهم فهم حسب ترتيبهم الزمني :

- ١ - يزيد بن خذاف. (... - ...) ولم أستطع تحديد عصره وحياته.
- ٢ - بشر بن أبي خازم. (... نحو ٩٢ ق.هـ) (... نحو ٥٣٣ م).
- ٣ - طرفة بن العبد. (نحو ٨٦ - ٦٠ ق.هـ) (نحو ٥٣٨ - ٥٦٤ م).
- ٤ - صريم بن معشر (أفنون) (... نحو ٦٠ ق.هـ) (... نحو ٥٦٤ م).
- ٥ - عبد يغوث بن صلاة (... - ٤٠ ق.هـ) (... - ٥٨٤ م).
- ٦ - قيس بن الخدّادية (... - ...) (... - ...).
- ٧ - خبيب بن عدي. (... - ٤ هـ).
- ٨ - سحيم عبد بني الحسحاس. (... - نحو ٤٠ هـ) (... نحو ٦٦٠ م).
- ٩ - هذبة بن خثرم. (... - نحو ٥٠ هـ) (... - نحو ٦٧٠ م).
- ١٠ - مالك بن الريب. (... - نحو ٦٠ هـ) (... - ٦٨٠ م).
- ١١ - مرة بن محكان. (... - ٧٠ هـ) (... - ٦٩٠ م).
- ١٢ - جعفر بن علبة. (... - ١٢٥ هـ) (... - ٧٤٣ م).
- ١٣ - أبو نواس. (١٤٦ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م).
- ١٤ - تميم بن جميل السدوسي. (... - حوالي ٢٤٠ هـ) (... حوالي ٨٥٣ م).
- ١٥ - الحلاج. (... - ٣٠٩ هـ) (... - ٩٢٢ م).
- ١٦ - الطغرائي. (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٣ - ١١٢٠ م).

رأي :

تعتبر هذه القصائد من روائع الشعر العربي، وأصدق لهجة، وأعمقه شعوراً وأحاسيس، وحسبك أن هؤلاء الشعراء نظموا قصائدهم قبيل موتهم، وهم غرباء عن أوطانهم وأحبائهم أو هم يساقون إلى القتل بالسيف، أو الصلب على الأعواد. ويلاحظ القارئ أنني لم أدرس هذه القصائد العصماء، ولم أتدخل في الحكم

عليها، وذلك لأترك له حريته وحقه في هذا الحكم، وفي الإعجاب بعواطفها الجياشة
ويتصويرها الدقيق للساعات أو الدقائق التي تفصل بين الحياة والموت، وربما امتدت إلى
تصوير ما بعد الموت.

وأعتقد - دون مبالغة أو تزويد - أن مثل هذه القصائد قل أن نجد لها نظيراً في
الشعر العالمي كله، وأنها مدعاة لفخر الأمة العربية بشعرها الراقى رغم ما حل
بأصحابها - وبالأأسف - من أهوال الموت والقتل والصلب.

دمشق ١٩٨٨/١١/٢٣ .

عبد المعين الملوحي

یزید بن خذاق

(..... — ؟)

المصادر

- ١ — الأوائيل ٢ : ٢٢٦ — ٢٢٧
- ٢ — عيون الأخبار ٢ : ٣٠٨
- ٣ — الشعر والشعراء ٣٤٥ — ٣٤٧
- ٤ — طبقات الشعراء ٢٧٥ — ٢٧٧
- ٥ — الجمهرة ١٤٢
- ٦ — معجم الشعراء ٤٨١
- ٧ — السمط ٧١٣
- ٨ — العقد الفريد ٣ : ١٧٦ ...
- ٩ — المفضليات ١٢٧٧ ...
- ١٠ — الأعلام ٩ : ٢٣٤

اسمه ونسبه

لا نعرف إلا أنه يزيد بن خذاق الشني، ثم العبدى وجاء في الشعر والشعراء أن له أخا يدعى سويداً قال :
هما سويد ويزيد ابنا خذاق من عبدالقيس
بل إن اسم أبيه دخله التصحيف فروي أنه (خذاق) بالخاء المهملة .
(السمط) وقيل إنه يزيد بن نهار وهو ابن أخت المثقب العبدى : شاعر جاهلي
عاصر النعمان، ملك الحيرة وذكره ابن سلام مع فصحاء شعراء البحرين .
ثم لا نعرف أكثر من ذلك .

القصيدة

اختلف العلماء في نسبة هذه القصيدة وأكثرهم ينسبها ليزيد بن خذاق، وجاء في المفضليات، ويروى للممزق العبدى، وكذا قال ثعلب، وهي له في الجمهرة .
أما في عيون الأخبار والشعر والشعراء والأوائل للعسكري فهي ليزيد .
وأشار ابن سلام إلى اختلاف نسبة القصيدة .

وليزيد أشعار أخرى متفرقة في كتب الأدب، لا مجال لذكرها في هذا الكتاب
وقد عد العسكري في كتابه الأوائل (٢ : ٢٢٦ — ٢٢٧) يزيد بن خذاق
أول من رثى نفسه، وأول شعر قيل في ذم الدنيا، وكذلك روي عن أبي عمرو
ابن العلاء وعن الأصمعي .

وها هي ذي القصيدة مع الإشارة في الحاشية إلى بعض الاختلافات اليسيرة
في روايتها :

(١) هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامٍ الْمَوْتِ مِنْ وَاقٍ

(١) روي من بنات الدهر من وراق، ومن حمام الموت من راق يتبادل راق وراق وفضلنا رواية ما ذكرنا .

- (٢) كَأَنِّي قَدْ رَمَانِي الدَّهْرُ مِنْ غُرُضٍ بِنَافِذَاتِ بِلَارِيشٍ وَأَفْوَاقِ
(٣) إِذْ غَمَضُونِي وَمَا غَمَضْتُ مِنْ وَسَنِ وَقَالَ قَائِلُهُمْ أَوْدَى ابْنُ خَذَاقِ
(٤) وَرَجَّلُونِي وَمَا بِالشَّعْرِ مِنْ شَعَثٍ وَأَلْبَسُونِي ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلَاقِ
(٥) وَرَفَعُونِي وَقَالُوا : إِيْمَا رَجُلٍ وَأَذْرَجُونِي كَأَنِّي طَيٌّ مِخْرَاقِ
(٦) وَأَرْسَلُوا فَتِيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَباً لِيَسْنَدُوا فِي ضَرْيحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِ
(٧) وَقَسَّمُوا الْمَالَ وَأَرْقَضَتْ عَوَائِدُهُمْ وَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَاتَ ابْنُ خَذَاقِ
(٨) هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعُ بِإِشْفَاقِ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلوَاحِدِ الْبَاقِ

ملاحظات :

- ١ — الملاحظة الأولى : لا نجد فيمن رثى نفسه قبل الموت هذه التفاصيل الدقيقة لما بعد الموت . التي يذكرها يزيد في قصيدته .
٢ — الملاحظة الثانية : فإنما مالنا للواحد الباقي يدل على عقيدة بعض أهل الجاهلية في توحيد الله وبقائه .



- (٢) ورد البيت في المصليات ١٢٧٧ . النافذات : السهام النافذة . أفواق : نج فوق وهو موضع الوتر من السهم .
(٣) البيت زائد في المصليات أيضاً . والوسن : النوم .
(٤) وروي : وما رجلت من شعث : رَجَّلَ تسريح الشعر . غير أخلاق : جديدة غير بالية
(٥) وروي : وغمضوني .. طي مخرق : عني به العمامة التي يلبس بها الأطفال بضرب بعضهم بعضاً .
(٦) وروي : حسباً يدل نسباً . وجاء في حاشية طبقات الشعراء : يعني أنزلوهم في شق القبر لكي يتلقوا جثثهم، وقوله : من خيرهم حسباً : ليس على ميل الفخر بل هي الحسرة والسخرية . الأطباق : جمع طبق : المفاصل والأعضاء .
(٧) العوائد : النسوة اللواتي يزرن المريض . يلاحظ تكرار الشطر الثاني في البيت الثالث والسابع ولعله تكرار لإظهار اللوعة والحسرة عند الموت، أو لعله رواية أخرى .
(٨) الاشفاق : التخوف والحرص . وروي الوارث بدل الواحد .

بشر بن أبي خازم

(... - نحو ٩٢ ق . هـ)

(... - نحو ٥٢٢ م)

المصادر

- ١ — الديوان : تحقيق د. عزة حسن طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٠
- ٢ — الحيوان ٦ : ٢٧٥ ...
- ٣ — طبقات فحول الشعراء ٩٧ ...
- ٤ — الشعر والشعراء ٢٢٧
- ٥ — الكامل للمبرد ١٩٩
- ٦ — المغتالون ٢١٤
- ٧ — ثمار القلوب ٩١
- ٨ — مختارات ابن الشجري ٢ : ١٩
- ٩ — الكامل لأبن الأثير ١ : ٢٩٩
- ١٠ — شرح المفضليات ١٤٦ ...
- ١١ — خزانة الأدب ٢ : ٢٦٢
- ١٢ — معجم البلدان (ترج)
- ١٣ — الكتب التي تتحدث عن أيام العرب، وهي كثيرة .

نسبه :

هو بشر بن أبي خازم، وأبو خازم اسمه عمرو، وبشر شاعر جاهلي من بني أسد ... وبني أسد فيهم شعراء كبار، أشهرهم في الجاهلية عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم .

عصره :

أغلب الظن أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس من الميلاد، وبقي حياً إلى زمن قريب من ظهور الإسلام، وعاصر حاتم الطائي .

أخباره :

شهد بشر يومي النصار والجبغار بين بني أسد وأحلافها وبين بني عامر وأحلافها ثم بين بني تميم وبني أسد .

بشر وأوس بن حارثة :

تشغل علاقة بشر بأوس بن حارثة جزءاً كبيراً من ديوانه، فقد هجاه ثم مدحه، وقد ذكرت المصادر هذه العلاقة فقالت :

دعا النعمان بن المنذر، ملك الحيرة بحلة، وعنده وفود العرب من كل حي فقال : — احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم .

فحضر القوم جميعاً إلا أوس بن حارثة فإنه تخلف، فقيل له : لم تخلفت ؟

فقال :

— إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني .

فلما جلس النعمان في مجلسه لم ير أوساً بين القوم فقال :

— إذهبوا إلى أوس، فقولوا له : احضر آمناً مما خفت .

فحضر أوس إلى المجلس وألبس الحلة فحسده قوم من أهله . فقال للحطيئة :
اهجه ولك ثلاثمائة ناقة

فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده
... ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صاحبة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
فقال لهم بشر بن أبي خازم : أنا أهجوه لكم

فأخذ الأبل وهجا أوس بن حارثة ...، وأفحش في هجائه ... فغضب أوس
لذلك وتذر لئن ظفر به ليحرقه ...

ووقع بشر أسيراً في إحدى معاركه فاشتراه أوس بن حارثة من أسريه فلما
حصل بين يديه جاء به وأوقد ناراً ليحرقه فلامت أم أوس أوساً على فعلته وقالت
له فيما قالت :

— أزعمت أنك تحرق رجلاً هجاك، إذن فمن يمحو ما قال فيك ؟ وأيم
الله لو فعلت ما استقلتها أنت ولا قومك أبداً . فقال لها أوس :

— فما أصنع به ؟ قالت :

— أرى أن ترد إليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وتكرمه وأفعل أنا مثل ذلك فإنه
لا يغسل عنك ما صنع غيره .

فاحتبس أوس بن حارثة بشراً عنده وواساه، وكنمه ما يريد أن يصنع به .
وقال له : ابعث إلى قومك يقدونك، فإنني اشتريتك بمائتي بعير، فأرسل بشر
إلى قومه فهبثوا له الفداء . وبادر أوس، فأحسن إليه، وكساه اليمنى — الثوب
من اليمن — وغيرها وحمله على نجييه الذي كان يركب، وسار معه حتى بلغ
أداني غطفان فقال بشر لأوس :

— لا جرم والله، لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك .
وصدق بشر فقد مدح أوساً وأكثر من مديحه

مقتل بشر

كان بشر بن أبي خازم فارساً شجاعاً، وكان يخوض ساحات القتال مع فرسان قومه ويقود الغزوات ويشن الغارات .. وقد قتل في إحدى غاراته، وذلك إن بشراً أغار في مقنب من قومه على الأبناء من بني صعصعة ابن معاوية، فلما جالت الخيل بموضع يقال له الرده .. مر بشر بغلام من بني وائلة من الأبناء، وهو عمرو (أو عبس) بن حذار، ويكنى أبا أبي ... وكان شجاعاً فقال بشر للغلام : أعط يديك (استسلم) يريد أن يأسره فقال له الغلام الوائي : لتتحنن أو لأشعرك سهماً من كنانتي، فأبى بشر إلا أسره، فرماه الوائي بسهم على ثنودته^(١)، فاعتنق بشر فرسه وهو جريح وأخذ الغلام فأوثقه .

فلما كان الليل أيقن بشر أنه ميت، فأطلق الغلام الوائي من وثاقه، في بعض الطريق، وخلي سبيله، وقال له :
— أعلم قومك أنك قتلت بشراً ...

ثم اجتمع أصحاب بشر إليه فقالوا له : أوص فقال قصيدة يرثي بها نفسه
شعره :

عد ابن سلام بشر بن أبي خازم (الطبقات : ٩٧) في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية بعد أوس بن حجر .

وأعجب أبو عمرو بن العلاء بقصيدة بشر التي مطلعها :
أحس ما رأيت أم احتلام أم الأهلوال إذ صجسي نيام
وقال : « ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها، وهي التي ألحقت بشراً بالفحول »^(٢)

وسئل الفرزدق وجريز : من أشعر الناس، فاتفقا على بشر بن أبي خازم أما ابن قتيبة فعاب على بشر اقواءه في شعره وقال :

(١) الثنود : اللحم الذي حول الثدي — يريد أنه أصاب قلبه

(٢) شرح المفصلات : ١٤٦ ...

(قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبي خازم والتابعة الذبياني (٣))

ويطعن الجاحظ ويشك في صحة كثير منه قال :

(وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم (٤))

قصيدة بشر

في رثاء نفسه

قال بشر بن أبي خازم يرثي نفسه (٥) :

- (١) أسألك عميرة عن أيها
- (٢) تؤمل أن أؤوب لها بنهب
- (٣) فإن أباك قد لاقى غلاماً
- (٤) وإن الوائلي أصاب قلبي
- (٥) فرجى الخير وانتظري إياي
- (٦) فمن يك سائلاً عن بيتي بشر
- (٧) ثوى في ملحد لا بد منه
- (٨) رهين بلى، وكل فتى سبيلي
- (٩) مضى قصد السبيل، وكل خي
- (١٠) فإن أهلك عمير قرب زحيف

(٤) الحيوان : ٦ : ٢٧٩ .

(٣) الشعر والشعراء : ٢٢٧

(٥) الديوان : ٢٤ — ٣٠ وهو يخاطب في قصيدته ابنة عميرة .

(١) تعترف : تسأل القوم

(٢) صاب : أصاب

(٤) اللغاب : الريش .

(٥) القارظ العنزي : مثل يضرب العرب للحفود الذي لا يرجع والقارظ : الذي يجني القروط

والعنزي : رجل من بني عنزة .

(٦) الرده : مكان في بلاد قيس دفن فيه بشر أو باب البيت هنا : القبر

(١٠) التقع : غبار الحرب . رهواً : مرتفعاً

- (١١) سموت له لألبسه بزحف
 (١٢) على ربد قوائمه إذا ما
 (١٣) شديد الأسر يحمل أريجيا
 (١٤) صبور عند مختلف العوالي
 (١٥) وطال تشاجر الأبطال فيها
 (١٦) فعز علي أن عجل المنايا
 (١٧) ولما ألق خيلاً من غمر
 (١٨) ولما تلبس خيل بخيل
 (١٩) فيا للناس إن قناة قومي
 (٢٠) همو جدعوا الأنوف فأوعبوها
- كما لفت شامية سحابا
 شائه الخيل ينسرب انسابا
 أخصا ثقة إذا الحدثان نابا
 إذا ما الحرب أبرزت الكعابا
 وأبدت ناجذاً منها ونابا
 ولما ألق كعباً أو كلابا
 نصب لثاتها ترجو النهابا
 قيطعنوا وبضطربوا اضطرابا
 أبث بثقافها إلا انقلابا
 وهم تركوا بني سعد يابا

-
- (١١) سموت له لألبسه : نهضت به لأخلطه : الشامية : الريح الشمالية .
 (١٢) ربد قوائمه : القرس : الخفيف القوام في السم شائه الخيل : سبفته .
 (١٣) الأسر : الخلق .
 (١٤) الكعاب : الفتاة التي نهى ثوبها ، ويشير إلى شدة الحرب التي تدعو النساء إلى البروز .
 (١٥) الناجذ : الضرس .
 (١٦) نصب لثاتها : يتحلب ريقها طبعاً في الغنمة .
 (١٨) تلبس : تخلط (١٩) الثفاف : تسوية الرماح .
 (٢٠) أوعبوها : استأصلوها . الياب : الخراب .

ملاحظة ١ :

يلاحظ في قصيدة بشر في رثاء نفسه أن أكثرها في الفخر بقومه وأقلها في الحديث عن ابنته ومصيره، فكأن موته لم يشغله عن قومه، فهل أصاب الجاحظ حين قال : إنها مصنوعة (الحيوان ٦ : ٢٧٩)

ملاحظة ٢ :

أكثر ما أوردته في هذا البحث مقتبس من مقدمة الديوان في اختصار، أما القصيدة فكلها من الديوان .



طرفة بن العبد

(نحو ٨٦ - ٦٠ ق. هـ)

(نحو ٥٣٨ - ٥٦٤ م)

بعض مصادره

- ١ — الديوان (شرح الأعلام الشنتمري)
- ٢ — طبقات الشعراء ١٣٧ — ١٣٨
- ٣ — الشعر والشعراء ١٣٧
- ٤ — المحبر ٢٥٨
- ٥ — الأمدى ١٤٦
- ٦ — الزوزنى ٢٨
- ٧ — سمط اللآلىء ٣١٩
- ٨ — خزانة البغدادى ١ : ٤١٤ — ٤١٧
- ٩ — شرح شواهد المغنى ٢٧٢/٢٩٦
- ١٠ — شعراء النصرانية ١ : ٢٩٨

نسبه :

هو أبو عمرو طرفة بن العبد ... من بني بكر بن وائل .

حياته :

مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموا حق أمهم، وكان

اسمها وردة فقال :

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون، ورهط وردة غيب قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظلل له الدماء تصبب

وكان طرفة في أول أمره منصبا على اللهو، يعاقر الخمرة، وينفق عليها ماله،

وكان في حسب من قومه جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم ...، وكانت

أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه، وكان

ابن عم طرفة، وكان سمينا بادنا، وكان طرفة عدوا له — كما في الخزانة — فشكت

أخت طرفة شيئا من أمر زوجها إليه فقال :

ولا عيب فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أعضما

وأن نساء الحي يعكفن حوله يقلن : عيب من سرارة ملهما

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد، ومعه عبد عمرو، فأصاب حمرا

ففقره وقال لعبد عمرو : انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال :

لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيبه البيت، وكان عمرو بن هند شريرا،

وكان طرفة قال قبل ذلك :

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئيا حول قبتنا تخور

فقال عبد عمرو : أبيت اللعن، الذي قال فيك أشد مما قال في . قال : وقد بلغ

من أمره هذا ؟

قال : نعم فأنشده القصيدة إلى آخرها فقال : لا أصدقك عليه، لما بينك وبينه

واحتملها في قلبه على طرفة .

المتلمس وطرفة

كان المتلمس ينادم عمرو بن هند، ملك الحيرة، هو وطرفة بن العبد فهجواه فلما كان بعد ذلك بيسير قال لهما : اظنكما قد اشتقما أهلكما فهل لكما أن أكتب لكما إلى عامل البحرين بصلة وجائزة؟ قالا : نعم فكتب لهما إلى عامله في البحرين كتابين، أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالتجف، طلع عليهما غلام من أهل الحيرة، فقال له المتلمس وأحسن بالشر : اتقرأ يا غلام؟ قال : نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها : أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا. فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرأها، ففيا، والله ما في صحيفتي فقال طرفة : كلا، لم يكن يجترئ علي، فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة.... وأخذ طرفة نحو البحرين فحبسه عامل عمرو بن هند في البحرين ثم قتله .

فلسفة طرفة العملية في الحياة .

يحدد طرفة فلسفته في الحياة فيراها في ثلاثة أمور، الخمر والحرب والمرأة، فهو يقول :
فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى وجَدَّكَ لم أخِفْ متى قامَ عُودِي
فمنهنَّ سَبَقِي العاذلاتِ بشربه كميتَ متى ما تعلَّ بالماءِ تزيد
وكَرِّي، إذا نادى المضافُ مُحِبًّا كَسيد الغضا، نِهْته، الْمُتَوَرِّدِ
وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب بيهكنة طي الخباء المُعَمَّد(١)

ويعلق ابن قتيبة على أبيات طرفة فيقول : أخذه عبدالله بن نبيك بن إساف الأنصاري فقال :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى وجَدَّكَ لم أخِفْ متى قامَ رامسُ
فمنهنَّ سَبَقِي العاذلاتِ بشربة كأنَّ أخاها مطلع الشمس ناعسُ

(١) كرى : عطشى. المضاف : المقاتل الذي أحاط به أعداؤه فهو يستجد. السيد : الذئب. الغضا : شجر. التوردد : الذي يطلب الماء ليرده.

اليهكنة : المرأة. الغضب : الغرس

ومنهنّ تجريدُ الكواعب كالدمى إذا أبْشُرُ من أكفاهن الملبسُ
ومنهنّ تقريظُ الجوادِ عنائِه إذا استبقَ الشخصَ الخفيّ الفوارسُ

شعره :

عد ابن سلام الجمحي طرفه بن العبد في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية
وقال : وهم أربعة رهط وعددهم ومنهم طرفه ثم استدرك فقال :
فحول شعراء، موضعهم من الأوائل وإنما أدخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة،
(ص ١٣٧) وخص طرفه بقوله : (ص ١٣٨)

أما طرفه فهو أشعر الناس وحادّة، وهي قوله :
لخولة أطلال يبرقة نهميد وقفْتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِ
وتليها أخرى مثلها :

أصحوت اليوم أم شاقنك هـر ومن الحبّ جنونٌ مُستقر^(١)

وترجم ابن قتيبة في الشعر والشعراء شاعرنا طرفه (ص ١٣٧) وقال : (هو
أجودهم طوبلة)

لقد كان طرفه قبساً من نور لم يكد يشتعل حتى أطفأته ريح الموت. وما
ندري ما كان يمكن أن يكون لو أنسىء في أجله .

(١) مستقر رواية ابن سلام ورواية الديوان مستقر .

طرفة يرثي نفسه

في

قصيدته الضادية

رثي طرفة نفسه في سجنه قبل مقتله بقصيدته الضادية التي مطلعها :

ألا اعتزِليني اليومَ خولةُ أو غضيّ فقد نزلتُ حذاءً مُحَكَّمَةً العَصْرَ

وقد اختلف العلماء في صحتها أو على الأقل في صحة كثير من أبياتها، ويلخص د. أحمد مختار البزرة في كتابه (الأسر والسجن في شعر العرب) هذا الموضوع (ص ٤٣٨ - ٤٤٠) فيقول :

(ومن هؤلاء الفحول — من الشعراء — طرفة بن العبد، ولا أقصد إلى تمييز صحيح شعره من منحوله، وهو مطلب تحاماه الرواة والنقاد القدماء. ولكن يقتصر على ما نظمته في السجن. وموطن الشك هو قصيدته الضادية، وهي كبرى قصائده في حبسه، وعدتها ثمانية وخمسون بيتاً، وهي بتامها في ديوانه الذي أخرجه ماكس سلفسرت في فرنسا في أول سنة من القرن العشرين^(١).....)

والقصيدة الضادية من القطعة المضافة إلى الديوان، وهي الأصل الوحيد الذي جاء فيه القصيدة كاملة في شكلها الأخير، وهي لا تشير إلى أصل مشرق، غير أن أصولها المشرقية متوفرة على حال من التشتت والاضطراب، وقد تفرقت بعض أبياتها في كتب اللغة والأدب والبلدان. مما يبعث الاطمئنان إلى بعضها على الأقل، والحق أن الرواة الثقات عرفوها، فكان لهم نحوها تحفظ كثير وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء أن المفضل الضبي الكوفي كان ينكرها وأن الأصمعي البصري لم يثبتها في شعر طرفة، فاتفق رأسا مدرستي الكوفة والبصرة في الرواية على تضعيف هذه القصيدة، ولذلك أحجم الأعلام الشنتمري عن إثبات القصيدة في ديوان الشاعر، وفي الجانب الآخر كان الجاحظ يراها من الشعر الجيد^(٢) وروى أبو عبيدة

(١) ونشر جمع اللغة العربية في دمشق ديوان طرفة بشرح الأعلام الشنتمري وتحقيق الأستاذين : درية الخطيب وإلفي الصقال، وذلك عام ١٩٢٥ هـ

معمر بن المثنى القصيدة، وتدل روايته على أن عالماً كبيراً على الأقل جعل القصيدة في عداد شعر طرفة .

وأورد أحمد بن أمين الشنقيطي القصيدة برواية أبي عبيدة فكانت عدتها ثلاثة وعشرين بيتاً من النسخة المضافة إلى الديوان، وهو فرق كبير، ولا شك أن رواية هذه القصيدة في القرن الثاني الهجري كانت تختلف ترتيباً وعدد أبيات بين راو وآخر، وهذا التفاوت حمل المفضل والأصمعي على إنكارها، وهو إنكار ينصب على عدتها لا على أصل حقيقتها، ولم يشأ أي منهما النظر في صحيحها ومنحوها فأعرض عنها، وبتراءى أن ما أحجم عنه الضبي والأصمعي أقدم عليه أبو عبيدة، فتدخل منها حسب مقاييسه النقدية ثلاثة وعشرين بيتاً، والأرجح أنه انتهى إلى صواب كثير، فلو عرضت القصيدة في أبياتها الثمانية والخمسين لوجد في كثير منها لين ظاهر وإسفاف وجفاف رونق بما لا يوافق ما عرف به شعر طرفة من فخامة وشدة أسر، ولكن بعضها شديد الصلة بروحه وأسلوبه لو تدخل منها عشرون ونيف موقعة لاختبار أبي عبيدة . (٥١) .

ومع هذا الشك المعقول والنقد الموضوعي فقد آثرت إيراد القصيدة كلها كما نشرت في ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشتمري بتحقيق الأستاذين : درية الخطيب ولطفي الصقال في مطبوعات مجمع اللغة العربية، تاركاً للقارئ اللبيب الحكم على ما يراه منحولاً أو غير منحول. والقصيدة فيه تقع في ٦٠ بيتاً مجمعة من عدة نسخ .

القصيدة الضادية

قال طرفة بن العبد وهو في سجنه ينتظر القتل (٥) :

(١) أَلَا اعْتَزَلْنِي الْيَوْمَ خَوَلَةٌ أَوْ غُضِّي فَقَدْ نَزَلَتْ حَذْبَاءُ مُحْكَمَةِ الْعَضْرِ

(٢) قال الجاحظ : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبدته، وذلك أنا إذا قنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية «البيان والنبين» : ٢ : ٢٠١ والحيوان : ٢ : ١٥٧ (٥) التخريج : ديوان طرفة ص ١٦٨ .

(١) في الهامش .. جاء في نسخة قازان أن طرفة قالها لعمر بن هند، وللعبد الذي أتاه بالكتاب في صحيفته، وكان العبد حين سجنه للقتل، بعث إليه بجمارية يقال لها خولة، فأبى أن يقبلها، وفي ط وحرياء معضلة العضر

- (٢) أزالْت قَوَادِي عَنْ مَقَرِّ مَكَانِهِ
 (٣) وَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا فِي الْحَيَاةِ مُدْرِتًا
 (٤) وَإِنِّي لَحَلَوُ لِلْخَلِيلِ ، وَإِنِّي
 (٥) وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى
 (٦) وَأَغْمِيرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
 (٧) وَاسْتَنْقِذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ ، بَعْدَمَا
 (٨) وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَعَرْضِي وَنُصْرَتِي
 (٩) وَيَغْمُرُهُ حَلْمِي ، وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
 (١٠) وَمَا نَالَنِي ، حَتَّى تَجَلَّتْ وَأُسْفَرَتْ
 (١١) وَلَكِنَّهُ سَبُّ الْأَلِيهِ وَحَرْفَتِي
 (١٢) لِأَكْرَمَ نَفْسِي أَنْ أَرَى مُتَحَشِّعًا
 (١٣) أَكْفُفُ الْأَذَى عَنْ أَسْرَتِي مُتَكْرِمًا
 (١٤) وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصَفُو خَلِيقَتِي
 (١٥) وَأَمْضِي أُمُورِي بِالزُّمَاعِ لَوَجْهِهَا
 (١٦) وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْحَقُّ نَابَنِي
 (١٧) وَإِنِّي لَذُو حَلَمٍ ، عَلَى أَنْ سَوَّرَتِي
 (١٨) وَإِنْ طَلَبُوا وَدَيَّ عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
 (١٩) وَمَعْتَرِضٌ فِي الْحَقِّ غَيَّرْتُ قَوْلَهُ
 (٢٠) رَكِبْتُ بِهِ الْأَهْوَالَ حَتَّى تَرَكْتُهُ
 (٢١) وَلَسْتُ بِذِي لَوْتَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
 (٢٢) قَدْ أَمْضَيْتُ هَذَا مِنْ وَصِيَّةِ عَبْدَلٍ
 (٢٣) إِذَا مِتُّ فَأَبْكِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
 (٢٤) وَلَا تُعْدِلْنِي إِنْ هَلَكْتُ بِعَاجِزٍ
- وَأُضْحِي جَنَاحِي الْيَوْمَ لَيْسَ بِذِي نُهْضٍ
 وَقَدْ كُنْتُ لِبَاسَ الرِّجَالِ عَلَى الْبُغْضِ
 لَمُرٍّ لَدَى الْأَضْغَانِ أَبْدِي لَهُ بُغْضِي
 وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَتَغْنِي قَرْضِي
 وَأَدْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِيَ عَرْضِي
 يَزِلُّ كَمَا زَلَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ
 وَإِنْ كَانَ مَخْنَى الضُّلُوعِ عَلَى بَغْضِ
 عَوَاقِبُ تَبْرِي اللَّحْمِ مِنْ كَلَمٍ مَضٍ
 أَخُوْتَقِي فِيهَا بِقَرْضٍ وَلَا فَرْضٍ
 وَسُدُّ حِيَازِيمِ الْمِطْيَةِ بِالْقَرْضِ
 لَدَى مِئَةٍ يَعْطِي الْقَلِيلَ عَلَى الرَّحْضِ
 عَلَى أَنِّي أَجْزِي الْمَقَارِضَ بِالْقَرْضِ
 إِذَا كَذَرْتُ أَخْلَاقَ كُلِّ فَتَى عَضٍ
 إِذَا مَا أُمُورٌ لَمْ يَكُذْ بَعْضُهَا بِمَضِي
 وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَقْضِي
 إِذَا هَزَّنِي قَوْمٌ حَيْثُ بِهَا عَرْضِي
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعُودُ إِلَى تَحْفِضِ
 وَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ الْقَضَاءُ كَمَا تُقْضِي
 بِمَنْزِلِ ضَنْكَ مَا يَكُذُّ وَلَا يَمْضِي
 وَلَا الْبَخْلُ ، فَأَعْلَمَ مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي
 وَمِثْلَ الَّذِي أُوصِي بِهِ عَبْدَلٌ أَمْضِي
 وَخُضِّي عَلَيَّ الْبَاكِيَاتِ مَدَى الْحَضِّ
 مِنَ النَّاسِ ، مَنْقُوضِ الْمَرِيرَةِ وَالنَّقْضِ

(١٢) الرخص : الجهد الكبير ، أي يعطي القليل بعد الجاح شديد .

(٢١) في هامش الديوان : زاد التبريزي - كما في هامش المَرْزُوقِي البيت التالي بعده :

وإنسي لسهل ما تغير شيمتي صروف ليالي الدهر بالقتل والنقض

(٢٤) منقوض المريرة : ينقض الناس ما أبرمه .

- (٢٥) حلفتُ بِرَبِّ الرَّاqصَاتِ إِلَى مِنى
 (٢٦) لَعْنُ هَبْتَ أَقْوَاماً بَدَتْ لِي ذُنُوبُهُمْ
 (٢٧) لَقَدْ طَالَمَا هَزَوَا قَنَاتِي وَأَجْلَبُوا
 (٢٨) وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي شَجَّ لَعْدُوهُمْ
 (٢٩) وَلَكِنِّي أَحْيَى ذِمَارَ عَشِيرَتِي
 (٣٠) بِمَشْهَدٍ لَا وَإِنْ وَلَا عَاجِزِ الْقُوَى
 (٣١) أَبْعَدَ بَنِي ذَرَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِذْ غَدَا
 (٣٢) مَضُوءًا وَبَقْنَا نَاطِلُ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ
 (٣٣) فَحَسْبِي مِنَ الدَّاءِ الَّذِي لَيْسَ بَارْحِي
 (٣٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَيْنَ فَاضَتْ سَجَامُهَا
 (٣٥) كَأَن مَجَاجَ السَّنْبِيلِ الْوَرْثَ فِيهَا
 (٣٦) كَمَا يَنْظُرُ الْوَرَّادُ خَيْلاً سَرِيعَةً
 (٣٧) خَذُوا حَذَرَكَ أَهْلَ الْمَشْقَرِ وَالصَّفَا
 (٣٨) أَلَا أَبْلَغَا بِكَرِّ الْعِرَاقِ بْنِ وَائِلٍ
 (٣٩) فَإِنْ يَقْتُلِ النُّعْمَانُ قَوْمِي فَإِنَّمَا
 (٤٠) فَمِيلُوا عَلَى النُّعْمَانِ، فِي الْحَرْبِ مِيلَةٌ
 (٤١) هُمَا أَوْرَدَانِي الْمَوْتُ عَمْدًا وَجَرْدًا
 (٤٢) رَدِيتُ وَنَجَّيْتُ الشُّكْرِيَّ حَذَارُهُ
 (٤٣) وَلَوْ خَفْتُ هَذَا الْفَتْلَ فِي الدِّينِ دَافَعْتُ
 (٤٤) فَيَا عَجَبًا لِلْجَذْعِ أَرْفَعُ فَوْقَهُ
 (٤٥) وَكُنَّا عَلَى ذِي مِرَّةٍ وَسَطُ قَوْمِنَا
 (٤٦) أَبَا مَنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا
- يَا رَيْنَ أَيَّامَ الْمَشَاعِرِ وَالْتِهَافِ
 مَخَافَةً رَحْبَ الصَّدْرِ ذِي جَدَلٍ عِضَ
 عَلَيَّ فَمَا لَأَنْتَ قَنَاتِي عَلَى الْعِضِ
 وَأَنِّي عَلَى شَحْنَائِهِمْ كَثُرَ مَا أُغْضِي
 وَيُدْفَعُ مَنْ رَكَضْتُ دُونَهُمْ رَكَضِي
 وَلَكِنْ مُدْلًا بِخَيْطِ النَّاسِ عَنْ عُرْضِ
 بِهِمْ مِنْ يُرْجَى لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالْخَفْضِ
 الْأَسَارِ مَنْ يَبْقَى عَلَى اثَرٍ مَنْ يَمْضِي
 وَبَعْضُ هُمُومٍ لَمْ يَكْذُ وَجَدَهَا يُفْضِي
 مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى لَمْ يَكْذُ جَفْنُهَا يُفْضِي
 تَدَاعَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ فِي وَرَقِ رَحْضِ
 مَقِيدَةً تَدُو إِلَى الْحُلْسِ وَالْغُرْضِ
 بَنِي عَمْنَاءَ، وَالْقُرْضُ نَجْزِيهِ بِالْقُرْضِ
 بِكَأْسٍ، سَفَى النَّصْرِيَّ شَارِبَهَا رَمْضِ
 هِيَ الْمَيْتَةُ الْأُولَى وَتَقْدِمَةُ الْقَبْضِ
 وَكَعْبُ بْنُ زَيْدٍ فَاشْغَلُوهُ عَنْ الْمُحْضِ
 عَلَى الْمَوْتِ خَيْلاً مَا تَمَلُّ مِنَ الرُّكْضِ
 وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ
 بَنُو مَالِكٍ حَتَّى يَرُدُّوا الَّذِي يَقْضِي
 وَلِلصَّلْبِ حَظِي مِنْ عُدَاةٍ وَمِنْ قَرَضِي
 ضَبِيعَةً قَدَمًا نَضْرِبُ النَّاسَ عَنْ عُرْضِ
 حَنَاتِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(٢٥) الرَّاqصَات : الإبل تسرع في سيرها .

(٢٩) رَكَضْتُ : بتشديد الكاف .

(٣٥) السَّنْبِيل : نبات جار . الْوَرْث : الطري . الرَّحْض : اليالي

(٣٩) النَّصْرِي وَالنُّعْمَان : عمرو بن هند أبو مَنْذِرِ كَأْسِ رَمْضِ : محرقة .

(٤٢) الشُّكْرِي : التلمس الذي رمى صحيفته .

- (٤٧) أبا منذرٍ إن كنت قد رُميت حربنا فَمَتَرْنَا رَحْبَ مَسَافَتِهِ ، مُفْضِي
 (٤٨) أبا منذرٍ مَنْ لِلْكِمَاةِ نَزَاهَا إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي قَنَا، بَيْنَهَا رَفْضُ
 (٤٩) أبا منذرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي
 (٥٠) أبا منذرٍ مِنْ لِلْأُمُورِ الَّتِي تُرَى عَلَى مِرَّةٍ تَحْدُو الشَّرَائِعَ بِالنَّقْضِ
 (٥١) أبا منذرٍ رُمْتَ الْوَفَاءَ فَهَيْبَتُهُ وَحَدَّثَ كَمَا حَدَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ
 (٥٢) تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ لِيَعْلَمَ حَتَّى مَا يَرُدُّ وَمَا يُمْضِي
 (٥٣) فَلَسْتُ عَلَى الْأَحْيَاءِ حَيًّا مُعْلَكًا وَلَسْتُ عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي نَكْتَةِ الْأَرْضِ
 (٥٤) يَقَالُ أَيْتُ اللَّعْنِ، وَاللَّعْنُ حَظُّهُ وَسَوْفَ - أَيْتُ الْخَيْرِ - تُعْرَفُ بِالْخَفْضِ
 (٥٥) فَأَقْسَمْتُ عِنْدَ النَّصَبِ إِنِّي لَمَيِّتٌ بِمَثْلَفَةِ لَيْسَتْ بَعْرِبٍ وَلَا تَخْفُضُ
 (٥٦) وَتُصَبِّحُكَ الْغَلْبَاءُ تَغْلِبُ غَارَةً هُنَاكَ لَا يُشْجِيكَ عَرْضُ مِنَ الْعَرْضِ
 (٥٧) وَيُلْبَسُ قَوْمٌ بِالْمُشَقَّرِ وَالصَّفَا شَابِيبَ مَوْتٍ تَسْتَهْلُ وَلَا تُغْضِي
 (٥٨) تَمِيلُ عَلَى الْعَبْدِيِّ فِي حَدِّ أَرْضِهِ وَكَعْبُ بْنُ سَهْلٍ تَحْتَرِمُهُ عَنِ الْمَحْضِ
 (٥٩) فَلَا أَرْفِدُ الْمَوْلَى الْعَنُودَ نَصِيبِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْنَعْ إِلَيَّ وَلَمْ يُفْضِرْ
 (٦٠) قَمَا كُلُّ ذِي غَشٍّ يَضْرُكُ غَشَّهُ وَلَا كُلُّ مَنْ تَهْوَى كِرَامَتُهُ تُرْضِي

تعليق للجاحظ

جاء في البيان والتبيين : ٢ : ٣٠١ تعليق دقيق للجاحظ :

قال أبو عثمان :

وليس في الأرض أعجب من طرفة وعبد يغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في حالة إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في الأمن والرفاهية .



(٤٧) مفض : يدخل في القضاء . (٤٨) رفض : منكسرة .

(٥٣) نكتة الأرض ورويت رجة الأرض : القبور

(٥٥) المثلفة : الغلاة التي تلتف الناس والترب : الأرض المنخفضة

(٥٦) الغلباء : صفة لبني تغلب، والعرض : الناحية

(٥٧) تغضي : تستحيي وهي هنا بمعنى تكف وتقطع

(٥٨) العيدي : عامل عمرو بين هند الذي حيس طرفة ثم خله. وتخرمه : جزم الفعل لغير جازم

أفنون التغلبي
صريم بن معشر

(... - نحو ٦٠ ق . هـ)

(... - نحو ٥٦٤ م .)

المصادر

- الشعر والشعراء ٣٨٢/١٨٧
المفضليات وشرح المفضليات : المفضليان ٦٥ و ٦٦
شرح شواهد المغني ١٤٦
الاشتقاق ٢٠٣
المؤتلف ١٥١
الآلء ٦٨٤ — ٦٨٥
الخزانة ٤ : ٤٦٠
النقائض ٨٨٦
الحيوان ٣ : ١٣٥
تاريخ ابن الأثير ١ : ٢٢٦
ومصادر كثيرة أخرى ليس فيها تفصيل كالكمال ورغبة الآمل،
ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت .

اسمه :

صريم بن معشر، وجاء في المؤلف أن اسمه ظالم

لقبه :

أفنون وفي الوشاح لابن دريد أنه لقب «أفنوناً» لقوله :

منيتنا الودُ يامضنون مضنوناً أزماننا إن للشبان أفنوناً

قبيلته : بنو تغلب

ترجمته :

رغم وفرة المصادر التي تتحدث عن أفنون، فإن أخباره جد قليلة وتكاد تنحصر في الأسطورة التي رويت عن وفاته، ولعل أوفى مصدر يتحدث عنه وعن أسطوريته الفضليات عند ذكر قصيدتين له هما رقم (٦٥) ورقم (٦٦).

قال المفضل :

بلغنا أن رجلاً من بني تغلب يقال له أفنون، يلقب به، واسم صريم بن معشر.. لقي كاهناً في الجاهلية. فسأله عن موته. فقال : أما إنك تموت بمكان، يقال له : إلهة فمكت ماشاء الله ثم إنه سافر في ركب من قومه إلى الشام، فأتوها ثم انصرفوا، فضلوا الطريق، فاستقبلهم رجل، فسألوهم عن طريقهم، فقال : خذوا كذا وكذا، فإذا عنت لكن إلهة وهي قارة بالسماء^(١) وضع لكم الطريق، فلما سمع أفنون ذكر الموضع تطير، فلما أتوها نزل أصحابه، وأبى أن ينزل معهم، فبينا ناقته ترتعي عرفجاً لدغتها أفعى في مشفرها، فاحتكت بساقه، والحية متعلقة بمشفرها، فلدغته في ساقه، فقال لأخ له معه :

— احفر لي قبراً فإني ميت، ثم رفع صوته يقول : (الآيات)

وقيل : إنه كان راكباً حماراً، فلما أبى النزول مع أصحابه، وطال وقوفه، ربض الحمار فلدغته حية، وقالوا : نهض حماره وسقط، فقال لأصحابه :

— إني ميت، فقالوا : ما عليك بأس. قال : فلم ربض العير^(٢) إذن ؟ فأرسلها مثلاً

ثم قال يرثي نفسه : (الآيات)

(١) في معجم البكري : ١ : ١٨٦ أنها بين ديار تغلب والشام

(٢) معجم الأمثال : ٢ : ٧٢ وفرائد اللآل : ٢ : ٥٨ ونسب فيها إلى امرئ القيس قاله قبل موته .

أخباره في المصادر الأخرى :

لا تكاد أخباره في المصادر الأخرى تتجاوز هذا الخبر، وهكذا لا تكاد نعرف عنه غير ذلك .

شعره :

جاء في شعراء النصرانية ١٩٢ يعد صريم من شعراء الطبقة الثالثة، له شعر قليل متفرق : ولكن الشعر الذي بقي لنا منه شعر جيد. ويكاد ينحصر في المفضليتين رقم ٦٥ ورقم ٦٦ :

قصيدته في رثاء نفسه

تغني أفنون قبل أن يموت يكي نفسه :

- (١) ألا لست في شيء، فروحن معاويا ولا المشفقات إذ تبعن الجوازيبا
 - (٢) فلا خير فيما كذب المرء نفسه وتقواله للشيء : ياليت ذا ليا
 - (٣) وإن أعجبتك الدهر حال من امرئ، فدعه وواكل حاله واللياليبا
 - (٤) يرحن عليه أو يغرون ما به وإن لم يكن في جوفه العيش وانبا
 - (٥) فطأ مغرضاً، إن الحقوق كثيرة، وإنك لا تثقي بمالك باقيا
 - (٦) لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
 - (٧) كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة وأترك في أعلى إلافة ثاوبا
- ومات من ساعته، فقبره هناك .



- (١) كتبت فروحن أيضاً فروحاً. رويت : إن تبعن : يتقين. الجوازي : الكواهن يريد : كما لا تمتلك من أمري شيئاً كذلك النساء المشفقات لا يقدرن على انتقاء أحكام الكواهن وروى لست (بضمير المخاطب) ولست (بضمير المتكلم).
- (٢) المعنى أن حديث النفس — إذا حقت الحقائق — لا يغني شيئاً صدقاً كان أو كذباً .
- (٣-٤) إذا أعجبتك حال إنسان سعيد فدعه لليالي فهي التي تغير حاله وتقلبه شيئاً بعد أ كان سعيداً .
- (٥) في العقد بنسك وفي المفضلية ٦٥ ص ٢٦١ بمالك. جاء في شرح الخطيب التبريزي لاختيارات الفصل — (وأكد الشرح للأبيات منه) : يخاطب صاحبه أو نفسه. فيقول : أقدم على ما يعرض لك، واركب ما يعطيك ظهرك، علما أن أنواع المكارم كثيرة. إن المال لا يحرصك ولا يدفع مكروها عنك، وهو يعرض الزوال، وإن اجتهدت في تيقته .
- (٦) في العقد له الدهر وفي المفضلية : له الله .
- (٧) في المفضلية : وأصبح، وفي شعراء النصرانية : وأصبح لي عليا الإلاهة .

عبد يغوث بن صلاءة

(.... - ٤٠ ق . هـ)

(.... - ٥٨٤ م)

المصادر

- ١ — المفضليات شرح ابن الأنباري : ٣١٥ / ٣١٧ المفضليات
شرح الخطيب التبريزي : ٧٦٦ — ٧٧٣
- ٢ — الأغاني (الدار) الأصبهاني ١٦ : ٣٢٨ — ٣٤١
- ٣ — خزانة الأدب البغدادي ١ : ٣١٧
- ٤ — والحامسة البصرية البصري ١ : ٩٣
- ٥ — المحبر ٢٥١
- ٦ — شعراء النصرانية شيخو ١ : ٧٥ — ٧٩
- ٧ — سمط اللآلئ البكري — الميمني ٣ : ٦٣
- ٨ — أسماء المقتالين ابن حبيب ٢٤٦

نسبه :

هو عبد يغوث بن صلاءة، وقيل بل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص من بني الحارث .

أخباره :

جمع قومه من بني الحارث وبعث الرسل إلى قبائل اليمن وأحلافها من قضاة وغزا بني تميم يوم الكلاب الثاني فغلبتهم بنو تميم وقتلت منهم وأسرت عدداً كبيراً، وأسر عبد يغوث نفسه، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس فانطلق به إلى أهله، وكان العيشمي أهوج فقالت له أمه — ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً — من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم، فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شبيخة عيشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً
ثم قال لها : أيتها الحرة، هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذا ؟ قال : أعطي ابنك مئة من الإبل، وينطلق بي إلى الأهم، فإني أخاف أن تتزعني سعد والرباب منه، فضمن له مئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه فقبضها العيشمي، فانطلق به إلى الأهم، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أهم يا خير البرية والبدأ ورهطاً إذا ما الناس عدّوا المساعيا
تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ولا تثقني التيم ألقى الدواهيما
قتله :

فمشت سعد والرباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد، قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهم إليهم، فأخذه عصمة بن أبير التيمي، فانطلق به إلى منزله فقال عبد يغوث

— يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة

فقال له عصمة :

— وما تلك القتلة ؟

قال :

اسقوني الخمر، ودعوني أنم على نفسي

فقال له عصمة :

— نعم

فسقاه الخمر ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه ينزف. ومضى عنه عصمة وترك معه اثنين له فقالا :

— جمعت أهل اليمن، وجئت لتضطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد يغوث في ذلك :

ألا تلوماني كفى اللوم ما ييا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
قال : فضحكت العبشمية، وهم أسروه، وذلك أنهم لما أسروه شدوا لسانه بنسعة
(سير من جلد) لثلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله .

دريد بن الصمة وعبد يغوث :

عندما رثى دريد بن الصمة أخاه عبدالله أشار إلى عبد يغوث وقتله فقال :
(الحماسة ص ٨٢٢)

تقول : ألا تبكي أخاك ؟ وقد أرى مكان البكا، لكن بُيت على الصبر
فقلت : أعبد الله أبكي أم الذي له الجَدَث الأعلى قيل أبي بكر
وعبد يغوث تحجل الطير حوله وعز المصاب جثو قبر على قبر
الغناء بقصيدة عبد يغوث

جاء في الأغاني (الدار) ١٦ : ٣٢٧

صوت

فيا راكباً إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تري قبلي أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيمر أطلقوا عن لساني
الشعر لعبد يغوث بن صلافة الحارثي، والغناء لإسحاق، ثقل أول.

حول القصيدة

مقدمة

تعرضت قصيدة عبد يغوث في رثاء نفسه إلى ما تعرض له سائر الشعر العربي
من شكوك. وإليك ما ورد في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب ص ٤٤٠
قال :

وزيد في قصيدة الأسير عبد يغوث بن صلاء الحارثي اليمنى زيادة بمقدار الثلث، وهي في المفضليات عشرون بيتاً ووقف الأصمعي في روايتها عند البيت الثاني عشر، ولم يصح له منها غير هذا القدر^(١). وقد يفترض أن اختلاف مصادر الرواية وطرقها بين مدرستي الكوفة والبصرة سبب للخلاف في عدد الأبيات. وإذا صح هذا الافتراض في بعض القصائد، فإن النقد الموضوعي يأباه في قصيدة عبد يغوث، ويرجع وضع ثمانية أبيات زيدت في نهايتها، فقد نظم الأسير قصيدته بين أعدائه، وهم رواها بعد أن قتلوه، وليسوا من الغفلة أن يرووا ما يسيء إلى سمعتهم، وهو في البيت الثالث عشر يعرض بنسائهم وميلهن إلى الفاحشة^(٢)، ولا شك أن العصبية اليمنية أضافت مثل هذا الشعر إلى أصل القصيدة تغيظاً لبني تميم الذين يفخرون بأسره وقلته.

والحق أن الشك يمكن أن يلحق بعض أبيات القصيدة، ولا سيما البيت الذي يعرض فيه بنساء بني تميم، وتبقى القصيدة في مجملها صحيحة النسبة لعبد يغوث.

القصيدة

أبيات القصيدة : تختلف المصادر في أبيات القصيدة اختلافاً، فهي ١٨ أو ١٩ أو ٢٠ أو ٢١ وتبلغ أحياناً ٢٣ بيتاً إذا أضفنا إليها بيتين قالهما عبد يغوث في مدح الأهم واستعطافه وهما رقم ١ و ٢ وبيتاً أورده ابن الأثير هو رقم ٢٣.

- (١) أَهْتَمُّ يَا خَيْرَ الْبَرَّةِ وَالِدَا وَرَهْطاً إِذَا مَا النَّاسُ عَدَّوَا الْمَسَاعِيَا
- (٢) تَدَارَكَ أَسِيراً عَانِيَا فِي حَبَالِكُمْ وَلَا تُثَقِّفَنِي التَّيْمَ الْقَى الدَّوَاهِيَا
- (٣) أَلَا لَا تَلُومَانِي، كَفَى اللَّوْمَ مَايَا فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
- (٤) أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ، وَمَا لَوْ مَيَّ أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
- (٥) فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلُغْنِ نَدَامَايَ، مِنْ نَجْرَانِ، الْآتِلَاقِيَا
- (٦) جَزَى اللّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَامَةً صَرِيحَهُمُ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا

(١) انظر المفضليات شرح ابن الأنباري طبع الآباء اليسوعيين ص ٣/٧ قال الأصمعي إل هاهنا سمعت (البيت ١٢) ولم أصح بقيتها.

(٢) قال :

وظلل نساء الحبي حولي ركناً يراودن مني ما تريد نسايا

(٤) شمالي : أخلاقي (٦) الصريح : العربي الخالص. الموالى هاهنا الخلفاء.

- (٧) أبا كرب، والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضر موت يمانيا
 (٨) ولو شئت نجتي، من الخيل، نهدة ترى خلفها الحور الجياد تواليا
 (٩) ولكنني أحيي ذمار أيكم وكان الرماح يخططن المَحاميا
 (١٠) أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني
 (١١) أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا فإن أحاكم لم يكن من يوايا
 (١٢) فإن تقتلونني تقتلوا بني سيدا وإن تطلقوني تحربوني مالي
 (١٣) أحقاً عباد الله، أن لست سامعاً نشيد الرعاء، المعزين، المتاليا
 (١٤) وتضحك مني شيخة غشمية كأن لم تَرِي قبي أسيراً يمانيا
 (١٥) وظل نساء الحَي جولي رُكداً يُراوذن مِنِّي ما تريد نسائيا
 (١٦) وقد علمت عرسي مُليكة أني أنا الليث، معدواً عليه وعاديا
 (١٧) وقد كنت نَحَارَ الجزور ومعمل الـ مطي وأمضي حيث لأحي ماضيا
 (١٨) وأنحر للشرب الكرام مطيتي وأصدغ بين القينتين ردائيا
 (١٩) وكنت إذا ما الخيل شَمَصها القنا لبقاً بتصرف القنا بنانيا
 (٢٠) وعادية سَوَمَ الجراد وزَعَتْها بكفي وقد أنحوا إليّ العوانيا
 (٢١) كأنني لم أركب جواداً ولم أَقْلُ لخلي: كَرِي، نَفْسِي عَنْ رجاليا
 (٢٢) ولم أَسْبَأُ الزُّقُ الروي ولم أَقْلُ لأيسار صدق: أعظموا ضوء ناريا
 (٢٣) فيا عاصِرُ فُكِّ القيد غني، فإنني صبور على مَرِ الحوادث ناكيا
 تذكير :

ونذكر القاريء برأي الجاحظ في رثاء عبد يغوث لنفسه، هذا الرأي الذي أوردناه في آخر قصيدة طرفة بن العبد لنفسه (انظر طرفة).



- (٧) أبوكرب : بشر بن علقمة، الأيمان : الأسود بن علقمة والعاقب، وهو المسيح بن أبيض.
 (٨) نهدة : عالية مرتفعة. الحو : جمع حواء : التي تضرب إلى الخصرة. تواليا : متتابعة.
 (١٠) النسعة : سمر من جلد يشد به لسان الأسير الشاعر لكيلا يهجو أسريه، وقيل أراد : افعلوا لي خيراً لأشكركم.
 (١١) أسجحوا : يسروا أمري واعفوا عني. (١٢) في يوايا : لم أقبل صاحبكم فاقبل به.
 (١٣) علق مؤلف (الأسر والسجن في شعر العرب) على هذا البيت فقال : ويبدو صراخ الارتياح في آماده البعيدة في بيت هتف به عبد يغوث لما يقن أن الذين أسروه، لابد قتلوه.
 (١٨) القينتين متي قينة وهي الأمة الغنية. (١٩) شَمَصها : نفرها وبددها.
 (٢٠) سَومَ الجراد : انتشار الجراد في المرعى. وزَعَتْها : كَفَفَتْها. أنحوا الرماح : أمالوها نحو. العادية : القوم بعدون .

قيس بن الحُذادِيَّة

(... - ...)

(... - ...)

المصادر القديمة

- ١ — الأغاني (الدار) ١٤٢ — ١٦٠
- ٢ — من نسب إلى غير أمه من الشعراء لابن حبيب من
نوادير المخطوطات ٨٦ — ٨٧
- ٣ — المرزباني في معجم الشعراء ٢٠٢
- ٤ — الحماسة البصرية ٢ : ١٣٩

المصادر الحديثة

- ٥ — الأعلام ٦ : ٦١
- ٦ — الشعراء الصعاليك (خليف) ٩٦ — ٩٨

لا نعرف متى ولد ومتى مات، وكل ما نعرفه عنه أنه شاعر جاهلي جاء في معجم الشعراء (٢٠٢) :

قيس بن الحُدَادِيَّة، والحُدَادِيَّة أمه، وهي من بني حُدَاد من كنانة، وقوم يجعلونها من حُدَاد محارب، وحُدَاد بالضم من كنانة، وحُدَاد بالكسر من محارب، وهو قيس بن منقذ .. وهو شاعر قديم. كثير الشعر

أما ابن حبيب في كتابه (من نسب من الشعراء إلى أمه) فيقول: (١) : ٨٦ — ٨٧) قيس بن الحُدَادِيَّة، وهي أمه من محارب .. حضرمية، وله شعر ويضيف صاحب الأغاني شيئاً آخر فيقول: (الأغاني ١٤ : ١٤٢ — ١٦٠) .. شاعر من شعراء الجاهلية — وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعتة خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلا تحمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه..

ويذكر أبو الفرج بعض مغامرات قيس وغاراته ويذكر أسره مع بعض بني خزاعة، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسره إلى مكة في الأشهر الحرم لبيتاعهم قومهم، فغدوا إلى الخلاء^(١)، وفيهم قيس بن الحُدَادِيَّة، فأخرجوهم وحملوهم وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمر بهم عدي بن نوفل فاستجاروا به فابتاعهم وأعتقهم فقال قيس يمدحه (ويذكر أبيات قيس)

ولم نر ضرورة لذكرها في هذا البحث.

ويمضي أبو الفرج في الحديث عن قيس ويذكر حبه لأم مالك الخزاعية، قال أبو عمرو :

وكان قيس بن الحُدَادِيَّة يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام — لأنهم أجذبوا — حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا البروق خلفهم — وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر

(١) الخلاء: مكان.

وغزارته فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدم قبيصة بن ذؤيب، ومعه أخته أم مالك — واسمها نعم بنت ذؤيب — فمضى فقال قيس بن الحداية هذه القصيدة التي منها الغناء المذكور .

وأورد أبوالفرج قصيدة قيس وهي طويلة تقع في ٤٤ بيتاً رأيت أن أقتصر منها على الأبيات التي تغنى بها إسحاق منها، فمن أراد الزيادة راجع القصيدة في الأغاني .

ثم يورد أبوالفرج قصيدة ثانية يائية لقيس، يذكر بين الحي وتفرقهم وينسب بنعم. دخلت بعض أبياتها في شعر المجنون.

مقتل قيس

جاء في الأغاني :

قال أبوعمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحداية أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له : استأسر فقال : وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع ؟ والله لوأسرتموني ثم طلبتم بدمي من قومي عنزاً جرياء جذماء^(١) ما اعطينموها.

فقالوا له استأسر لا أم لك^(٢) فقال:

نفسي على أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز

(الأرجوزة)

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظل، وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه فقاتلهم، فلم يزل يرتجز، وهو يقاتلهم، حتى قتل.

(١) جذماء : مقطوعة البد

(٢) لا أم لك : شتيمة معروفة عند العرب

أرجوزة قيس بن الخدادية قبل مقتله

- ١ أنا الذي تخلعه مواليه»
- ٢ وكلهم بعد الصفاء قاله
- ٣ وكلهم يقسم لا يسأله
- ٤ أنا إذا الموت ينوب غاليه
- ٥ مختلط أسفله بعاليه
- ٦ قد يعلم الفتيان أني صاليه
- ٧ إذا الحديد رفعت عواليه

قال أبو الفرج :

وقد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة :

- (١) أجذك أن نعم نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع
- (٢) وحسبك من نأي ثلاثة أشهر ومن حزن أن شاق قلبك رابع
- (٣) بكت عين من أبكاك، ليس لك البكى ولا تتخالجك الأمور النوازع
- (٤) فلا يسمعن سري وسرك ثالث ألا كل سر جاوز اثنين شائع
- (٥) وكيف يشيع السر مني ودونه حجاب، ومن فوق الحجاب الأضالع

(٥) التخرج : الأغاني : ١٤ : ١٦

(١) الموالى هنا : الأصل وأبناء العم، والماء للسكت. (٢) قاله : كاره، مبيض

(٣) يقال لا يسأله ولا يسألي به (٤) الغالي : المبالغ المتشدد.

(٦) صالي : مقتحم ، موقد. (٧) العوالي : الرماح.

(٣) تتخالجك : تتنازعك وتجادلك. اننوازع : اضموم التي تنزع النفوس من الصدور.

- (٦) كان قوادى بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبين واقـ
 (٧) وقالت — وعيناها تفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أنت راجع
 (٨) فقلت لها: بالله يدري مسافر إذا أضمرت الأرض ما الله صانع
 (٩) فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع

خاتمة

ولا بأس أن نختم الحديث عن قيس بهذه الكلمة العادلة التي أوردها د. يوسف خليف في كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٩٧ — ٩٨) قال:
 (وظل هذا الصعلوك «قيس» المتمرد يجمع الخلعاء والشذاذ ويغريهم حتى قُتل، وهو خليع، قتلة كان فيها شجاعاً حتى النهاية، وقبل أن يوشك سراج حياته على الانطفاء تذكر تلك الحادثة التي كانت سبباً في تلك الحياة القاسية التي عاشها طريداً مشرداً، حادثة خلعه، فأخذ ينشد — وهو يقاتل — نشيداً فيه حسرة، وفيه شجاعة وفيه اعتداد بالنفس : حسرة على حياته التي ذهبت مع الريح بعد أيام جميلة قضاها في حمى القبيلة، في اللهو تارة وفي الجدة تارة أخرى^(١)، عُضواً عاملاً في مجتمع القبيلة، يدافع عنها، ويشيد بمفاخرها ويهجو أعداءها، بل يقودها أحياناً في شجاعة إلى مواقع النصر^(٢))



(٨) يدري : يحذف لا، والأصل لا يدري أو يحذف همزة الاستفهام : أي يدري ؟ وروي في المزماني فقلت لها : والله ما من مسافر يحيط بعلم الله، ما الله صانع.
 (٩) السحيق : المسحوق.

(١) فيومئذ يوم في الحديد مريلاً ويوم مع البيض الأوانس لاهباً
 (الأغاني ١٤ : ١٥٩)

(٢) وفي معجم الشعراء (٢٠٢) أبيات ثلاثة معبرة يذكر فيها قيس نحوه في شبابه، وحسرة في شيبه. قال :

هل الأثم كالآرام والزهر كالدمى مع لودني أبايهم من الصوالج
 زمان سلاحي بين شيتي لها مائتت في ميهن ورامج
 فأقمن لا يغيتني قطر مزنة لثيبي ولمو سالت بين الأباطج

حُبَيْب بن عدي

(... - ٤ هـ)

(... - ٦٦٤ م)

المصادر

- ١ — تاريخ الطبري ٢ : ٥٢٨
- ٢ — الأغاني (الدار) ٤ : ٢٢٥ — ٢٢٧
- ٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٧١ — ١٧٦
- ٤ — الروض الأنف ٢ : ١٦٧ — ١٧٦

نسبه :

هو خبيب بن عدي أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، من الأنصار: شهيد من شهداء الإسلام الأوائل.
ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة.

غزوة الرجيع

جاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٣٨ — ... تحت هذا العنوان السابق:
... قدم على رسول الله بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا له: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وخيراً فابعث معنا نقرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معهم نقرأ ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبدالمطلب، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخا بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبدالله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بلي.

وأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لذيذ بتاحية الحجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يُرْعِ القوم — وهم في رحالهم — إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسياфهم ليقاتلوهم فقالوا لهم :

إنا والله لا نريد قتلکم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا :
والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً
فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً.

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبدالله بن طارق فلانوا وارقوا ورجعوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم^(١)، فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعهم بها،

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا

حتى إذا كانوا بالظهران، انتزع عبدالله بن طارق يده من القرآن^(٢)، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبّره بالظهران.

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة، فباعوهما، فابتاع خبيباً حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي ... ليقتله بأبيه .. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف

قال أبو جعفر، وأما غير ابن إسحاق، فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه والذي قصه غيره أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث عشرة رهط وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم : بنو لحيان، فبعثوا إليهم مائة رجل راميا، فوجدوا ماكلهم حيث أكلوا التمر، فقالوا : هذه نوى يثرب، ثم اتبعوا آثارهم، حتى إذا أحس بهم عاصم وأصحابه التجأوا إلى جبل فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم أخبر نبيك عنا، ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي، وخبيب، ورجل آخر، فأطلق القوم أوتار قسيهم ثم أوثقوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة فقال : هذا والله أول الغدر، والله لا أتبعكم فضربوه فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة إلى مكة، فدفعوا خبيبا إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد . فبينما خبيب عند بنات الحارث إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحذ^(٣) بها للقتل، فما راعت المرأة، ولها صبي يدرج — إلا بخبيب قد أجلس الصبي على فخذه، والموسى في يده — فصاحت المرأة، فقال خبيب : أتخشين أني أقتله. إن الغدر ليس من شأننا

فقالت المرأة بعد :

— ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب .. لقد رأيته وما بمكة من ثمرة، وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً

(٢) الخيل يربط به الأسير

(٣) يستحذ : يخلق شعر عاتنه لئلا يظهر عند قتله.

مقتل خبيب :

فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال : ذروني أصل ركعتين، فتركوه فصلي سجدتين، فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلي ركعتين، ثم قال خبيب : لولا أن يقول جَزَعٌ لزدت وما أبالي على أي شق كان لله مصرعي ثم قال :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزَع.
اللهم أحصهم عدداً وخذهم بدداً.
ثم خرج به أبوسروعة بن الحارث ... فضربه فقتله.

مقتل زيد بن الدثنة :

قال أبوجعفر : وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث به مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع إليه رهط من قريش فيهم أبوسفيان بن حرب، فقال له أبوسفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد، أتعجب أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنت في أهلك ؟ قال :

— والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي. قال يقول أبوسفيان :
— ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.
ثم قتله نسطاس.

هل صلب خبيب

وربما قتل خبيب صلباً أو صلب بعد قتله.

جاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٤١

حدثنا ابن كريب قال: حدثنا جعفر بن عوف، عن إبراهيم بن اسماعيل قال: وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثه عيناً إلى قريش قال: فجئت إلى خشبة خبيب، أنا أتخوف العيون، فرقيت فيها فحللت خبيماً، فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد ثم لم أر لخبيب رمة^(١)، فكأثما الأرض ابتعلته، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

وفي الطبري : ٥٤٤ تفصيل أكثر :
 قال عمرو بن أمية ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا خشبة خبيب، فقال لي صاحبي :
 — هل لك في خبيب تنزله عن خشبته ؟ فقلت : وأين هو ؟ قال : هو ذاك
 حيث ترى فقلت : نعم، فأمهلني وتنع عني قال : وحوله حرس يحرسونه،
 فاشتددت إلى خشبته فاحتللتها واحتملته على ظهري، فوالله ما مشيت إلا أربعين
 ذراعاً حتى نذروا لي فطرحته، فما أنسى وجبته^(٢) حين سقط فاشتدوا في أثري،
 فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا فرجعوا ...

ونلاحظ أن الخبر الثاني لا يذكر اختفاء جثة خبيب — رحمه الله —
 ويذكر الطبري ٢ : ٥٩٥، في غزوة بني لحيان سنة ست أن رسول الله
 — صلى الله عليه وسلم — خرج ... يطلب بأصحاب الرجيع، خبيب بن عدي
 وأصحابه

ثم يذكر خبر الغزوة

قصيدة خبيب بن عدي قبل قتله

قال ابن إسحاق^(١) :

وكان مما قبل في ذلك من الشعر قول خبيب بن عدي حين بلغه أن القوم
 اجتمعوا لصلبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

- (١) لقد جَمَعَ الأحزابُ حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كُلَّ مَجْمَع
- (٢) وكُلُّهم مُبدي العداوة جاهدٌ عليّ لأنّي في وثاقٍ مضيق
- (٣) وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم وقُرِبْتُ من جذعٍ طويلٍ مُنْع
- (٤) إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي وما أُرصدُ الأحزاب لي عند مَصْرعي
- (٥) فذا العرش صبرني على ما يراؤني فقد بضَعُوا لحمي وقد يأسَ مطعمي

(١) رمة : جثة. (٢) صوت منقطه.

(٥) التخرج: سيرة ابن هشام، تحقيق السقا والأبياري والشلي. مطبعة الباني القاهرة ١٩٣٦

(١) ألبوا : جمعوا وحضوا

(٤) أُرصد : أعد

(٥) بضعوا : قطعوا. يأس (بتخفيف الحزة) لغة في يس

- (٦) وذلك في ذات الإله، وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع
 (٧) وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزّع.
 (٨) وما لي جذار الموت، إني لميت ولكن جذاري جحيم ناري ملقّع.
 (٩) ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
 (١٠) ولست بمبد للعدو تخشعاً ولا جزعاً، إني إلى الله مرجعي

هذه قصيدة خبيب بن عدي التي قالها قبل قتله وصلبه.

وأرى أن لا سبيل إلى إنكارها فقد وردت بعض أبياتها في كثير من مصادر السيرة والأدب، وحسبك أن الطبري قد أورد بيتاً وشطراً منها في تاريخه ٢ : ٥٣٨ في حديثه عن غزوة الرجيع، ثم إن الروح الإسلامية في استسلامها لله، وفي إنكار الكفر، وفي استقبال الموت استقبال الرجال، واضحة كل الوضوح، فلا مجال لشك ابن هشام فيها.

حسان بن ثابت يرثي خبيب بن عدي

كان لغدر بني عضل والقارة ببعثة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليهم، وهم الذين طلبوا هذه البعثة لتفقههم بالدين وتقرئهم القرآن وتعلمهم شعائر الإسلام، أثر كبير في غضب المسلمين وفي رغبتهم في الأخذ بثأر إخوانهم القتلى غدراً وخيانة.

وقد هزت الحادثة شاعر المسلمين، حسان بن ثابت فخص خبيباً بن عدي بثلاث قصائد في رثائه وردت في ديوان حسان في الصفحات ٣٤ و ١٣٩ و ١٧١. ورأيت أن أذكرها كلها لبيان قيمة الشهيد خبيب ومقدار الأسى والغضب من الغدر به وبأصحابه ثم قتله وصلبه.

قال حسان (٥) يرثي خبيباً بن عدي الأنصاري :

- (١) يا عين جودي بدمع منك منسكب وأبكي خبيباً مع الغادين لم يؤب
 (٢) صقراً توسط في الأنصار منصبه حلوا السجية، محضاً غير مؤتشب

(٦) الشلو : القبة الباقية. ممزّع : مقطع (٧) هملت : سال دمعها

(٨) جحيم : المذهب، المنقذ، ومنه سميت الجحيم. ملقّع : شامل عام

(٥) التخريج : ديوان حسان : دار التراث العربي (بيروت) (١) لم يؤب : لم يمد

(٢) المؤتشب : الدخيل، المخلط

- (٣) قد هاج عيني على غلاتِ عَبرَتِها إِذ قِيلَ نُصْرٌ على جذعٍ من الخشبِ
 (٤) يا أيها الراكبُ الغادي لطيته أبلغُ لديك وعيداً ليسَ بالكذبِ
 (٥) بني فُكَيْهَةً إن الحربَ قد لَقَحَتْ مجلُوبُها الصابُ، إِذ تُمرى لمُحتَلِبِ
 (٦) فيها أسودُ بني النجارِ يَقدُمُهم شهبُ الأسنَةِ في مُعْصُوبِ الجبِ
 وقال حسان يرثي خبيباً (٥)

- (١) لو كانَ في الدارِ قومٌ ذو محافظَةٍ حامِي الحقيقَةِ ماضٍ، خالَةٌ أنسِ
 (٢) إِذا حَلَلْتَ خَيْبٌ منزلاً فُسِحاً ولم يُشَدَّ عليك الكبلُ والخَرَسُ
 (٣) ولم يَسُقْكَ إلى التَّنعيمِ زعنْفَةٌ من المِعاشرِ ممَّنْ قد نَفَتْ عُدُسُ
 (٤) صبراً خَيْبٌ فَإِن القتلَ مَكْرَمَةٌ إلى جنانِ نعيمٍ يَرجعُ النَّفسُ

وقال حسان يرثي خبيباً بن عدي الأنصاري (١)

- (١) ما بال عينك لا تُرقا مدامعُها سَحاً على الصَّدْرِ مثلَ اللؤلؤِ الفَلَقِ
 (٢) على نُجيبٍ وفي الرحمنِ مَصْرَعُهُ لا قُشِلَ حينَ تَلَقَّاهُ ولا نَزَقِ
 (٣) فأذهبْ خَيْبٌ، جزاك الله طيبةً وَجَنَّةَ الخُلْدِ عندَ الحُورِ في الرُفَقِ
 (٤) ماذا تقولونَ إن قالَ النبيُّ لَكُمْ حينَ الملائكةِ الأبرارِ في الأفقِ
 (٥) فيما قَتَلْتُمْ شهيدَ اللهِ في رَجُلٍ طاعٍ قد أَوْعَثَ في البلدانِ والطُرُقِ
 (٦) أبا إهابٍ قَيَّسَ لي حديثُكُمْ أينَ الغزالُ محلى الدُرِّ والوَرِقِ
 (٧) لا تذكُرَنَّ إِذا ما كُنْتَ مَفْتَحِراً أبا كَثِيبَةَ قد أسرفت في الحُمُقِ
 (٨) ولا عَزِيزاً فَإِنَّ الغدرَ منقصةٌ إِنَّ عَزِيزاً دَقِيقُ النَّفسِ والخُلُقِ



(٣) يؤيد هذا البيت الذي نظمته حسان في عهد خبيب أنه صلب

(٥) بنو فكيهة : القوم الذي غلبوا بخيب. لقحت : اشتدت. المحبوب : اللبن. نمرى : تمسح ليدبر اللبن

(٥) الديوان : ١٣٩ (١) الكبل : القيد والسجن (٢) التنعيم : مكان. الزعنفة : الجماعة من سفلة الناس.

(٥) التخريج : الديوان ص ١٧١

(١) ترقاً : تحف، وخففت الحمزة. السح : الصب والسكب. الفلق : المقطع المتناثر

(٢) القشيل : الخائف الجبان.

(٣) الرفق : الرفقاء والأصحاب.

(٤) حين الملائكة في الأفق : أراد يوم القيامة

(٥) أوعث : أفسد كثيراً. (يقلب حمزة القطع حمزة وصل).

(٦) الورق (بكسر الراء) القضة.

سحيم عبد بني الحسحاس

(... - نحو ٤٠ هـ)

(... - نحو ٦٦٠ م)

المصادر

- | | |
|-----------------------------------|--------------------|
| صنعة عبدالعزيز الميمني | ١ ديوان محيم |
| الملاحظ ١ : ٩٤ — ٩٥ | ٢ البيان والتبيين |
| ابن قتيبة ص : ٣٦٩ — ٣٧٠ | ٣ الشعر والشعراء |
| ابن سلام ص : ١٨٧/١٧٢/٩٢ — ١٨٨ | ٤ طبقات الشعراء |
| المبرد ص : ٣٦٦ | ٥ الكامل |
| الترجمة رقم ٣٦٦٤ | ٦ الإصابة |
| العسكري ١٦٦ | ٧ ديوان المعاني |
| الخالديان ١٥٣ | ٨ الأشباه والنظائر |
| نسخة الميمني ١٣٦ المطبوعة ٢ : ٢٧٢ | ٩ المفتاحون |
| ١١٢ | ١٠ السيوطي |
| ٣١٣ : ١ | ١١ قوات الرقيات |
| ٧٢٠ — ٧٢١ | ١٢ سمط اللآلئ |
| البغدادي ١ : ٢٧١ — ٢٧٤ | ١٣ خزانة الأدب |

أخبار سحيم وترجمته

يكنى أبا عبدالله وقيل في اسمه : حية، وسحيم : تصغير ترخيم الأسحيم بمعنى الأسود، وقتل في حدود الأربعين من الهجرة — كما في الفوات — ولكنهم اطبقوا على أن مقتله كان في زمن عثمان، أي قبل ٣٥ من الهجرة. وكان يرتضح لكنة أعجمية. كان ينشد ويقول : أحسنك والله. يريد أحسنت

سحيم وعمر

وأنشد عمر — رضي الله عنه — ياتيته فقال لو قلت شعرك مثل «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا» لأعطيتك عليه، وقيل إنه قال : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك، قال : ما سمرت يريد : ما سمرت

النبي وسحيم

كان أدرك النبي — صلى الله عليه وسلم —، وقد تمثل بشيء من شعره يروى أنه تمثل : «كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا» فقال أبوبكر : إنما هو «كفى الشيب والإسلام»، فأعادها النبي — صلى الله عليه وسلم — كالأول فقال أبوبكر : أشهد إنك لرسول الله «وما علمناه الشعر وما ينبغي له».

سحيم وعمر

ويقال إن عمر — رضي الله عنه — سمعه ينشد :
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاشِ وَطَيْبُ
فقال له : إنك مقتول .

كيف قتل سحيم :

.... فسقوه — بنو الحسحاس — الخمر ثم عرضوا عليه نسوة فلما مرت به التي كان يتهم بها، أهوى إليها فقتلوه.

خبر ابن حجر في الإصابة

ونقل ابن حجر في الإصابة خبراً غريباً في مقتله، أن امرأة من بني الحسحاس أسرها بعض اليهود فاستخلصها لنفسه، وجعلها في حصن له، فبلغ ذلك سحيم فأخذته الغيرة، فمازال يتحيل حتى تسور على اليهودي حصنه فقتله، وخلص المرأة فأوصلها إلى قومها، فلقينه يوماً فقالت له : يا سحيم والله لو ددت أفي قدرت على مكافأتك على تخليصي من اليهودي فقال لها : والله إنك لقادرة على ذلك، وعرض لها بنفسها، فاستحييت وذهبت، ثم لقينه أخرى، وعرض لها بذلك فأطاعته وهويها وطفق يتغزل فيها، وكان اسمها سمية، ففطنوا له فقتلوه، خشية العار عليهم بسبب سمية. ٥١ .

وعلق الميمني : فهذا مما يخفف شناعة صنيعة.

رواية الخالدين

وروى الخالديان ص ١٥٣ : أنه لما أطال التشيب بنساء قومه مثل قوله : «وهن بنات القوم إن يشعروا بناء تأمر قومه في قتله، واجتمعوا لذلك في شرب لهم، وأحضروه معهم، وكان شجاعاً رامياً، وكان له قوس لا يفارقها، ولا يقدر أن يوترها غيره، فلما أخذ فيهم الشراب قال له بعضهم : يا سحيم، أراك تقطع وتر قوسك هذه إن شددت بها كثافاً ؟ قال : نعم قالوا له : حتى ننظر. فأمكنهم من نفسه حتى أوثقوه بالوتر : قالوا له : اقطع، فانتحى فيه فلم يقطعه. فحين رأوا ذلك وثبوا عليه بالخشب فضربوه حتى كادوا يقتلونه، ثم تعاذلوا في أمره، وتركوه رحمة له. فمرت به امرأة من نسائهم وهو مكتوف، فنظر إليها وقال، وهم يسمعون :

فإن تضحكي مني فيارب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

ملاحظة : إلى هنا ينتهي كلام الميمني في مقدمة الديوان

روايات أخرى في مقتل سحيم :

١ - وذكر محمد بن حبيب في كتاب من قتل من الشعراء أن سحيماً كان صاحب تغزل فاتهمه مولاة بابتته، فجلس له في مكان إذا رعى سحيم قال^(١) فيه، فلما اضطجع تنفس الصعداء ثم قال^(٢) :

بَا ذِكْرَةَ مَالِكٍ فِي الْحَاضِرِ تَذَكُّرُهُـُـا وَأَنْتِ فِي الصَّادِرِ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ لَهَا كَعَثَبٌ مِثْلُ سَنَامِ الْبَكْرَةِ الْمَائِرِ
فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ، وَظَهَرَ مِنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ كَمُنَ فِيهِ : مَالِكُ ؟ فَلَجَلَجَ
فِي نَظْقِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ وَهَمَ عَلَى قَتْلِهِ خَرَجَتْ إِلَيْهِ صَاحِبَتُهُ فَحَدَّثَتْهُ وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا
يُرَادُ بِهِ، فَقَامَ يَنْفُضُ بَرْدَهُ، وَيَعْفَى أَثَرَهُ، فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ لِيَقْتُلَ ضَحَكَتْ امْرَأَةٌ كَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا شَيْءٌ فَقَالَ :

إِنْ تَضْحَكِي مِنِّي فَيَارَبُّ لَيْلَةٍ تَرَكْتُكَ فِيهَا كَالْقَبَاءِ الْمُفْرَجِ
فَلَمَّا قَدِمَ لِيَقْتُلَ قَالَ :

شُدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَغْلِبُكُمْ إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
فَلَقَدْ تَحَدَّرُ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاشِ وَطِيبُ
فَقَتْلٍ — انتهى

(خزانة الأدب ١ : ٢٧٤)

٢ - في سمط اللآلئ ٧٢٠ - ٧٢١

... فاشتراه ابن معبد، فكان كما قال عثمان : شب بيتته عميرة وفحش فشهريها
فخرقة بالنار (وفي الحاشية قتل ثم أحرق)

رأي القدماء في شعره

١ - ابن سلام الجهمي في طبقات الشعراء ص ١٧١ - ١٧٢

(١) نام

(٢) في خزانة الأدب تصحيح والتصحيح من الديوان ص ٣٤، والكعب : فرج المرأة والبكرة : الناقة

الطبقة التاسعة:

أربعة رمض

والرابع عبد بنى الحسحاس، وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام
(ص ١٨٧ — ١٨٨)

٢ — رأي ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٣٦٩ (الترجمة ٦٥)
وكان حشياً مُعَلَّطاً^(١) قبيحاً
وكان شاعراً محسنًا

وأضاف ابن قتيبة :

ومما أخذ عليه في شعره قوله: وذكر التقاءه وعشيقته:

فما زال بُردِي طَيِّباً من ثيابها إلى التحول حتى أنهج البردُ باليسا^(٢)
وقال آخرون :

هذا التوهم لفرط العشق، وهو نحو قول الأعرابي حين قيل له : ما بلغ من
حبك لها فقال : إني لأذكرها وبينني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها ربح
انسك .

٣ — رأي ابن الأعرابي^(٣):

أورد بعض أبيات القصيدة الياثية التي منها هذا البيت وكان يسمى القصيدة
«الدياج الخسرواني»

٤ — المفضل الضبي^(٤) :

القصيدة — الياثية — كان المفضل الضبي يسميها «الدياج الخسرواني»

(١) معلطٌ — بالعين المهملة — موسوماً بالمعلاط — بكسر العين وتخفيف اللام — وهو خطوط تجعل سمة في عرض
عنق البعير. والظاهر أنه استعمل هنا في الخطوط التي يصنعها بعض الناس في وجوههم.

(٢) أنهج : رث وبل

(٣) هامش رقم ٤ في الشعر والشعراء ص ٣٦٩

(٤) هامش حرف (ب) في ديوان سحيم ص ١٦

رأى في شعر سحيم

١ - أعتبر شعر سحيم حلقة وصل بين غزل امرئ القيس وغزل عمر بن أبي ربيعة وهكذا تتسلسل مدرسة الغزل المكشوف :
أ - امرؤ القيس ب - سحيم عبد بن الحسحاس ج - عمر بن أبي ربيعة

وأكتفي للدلالة على ذلك بيتين :
قال سحيم^(١) :

تُعَفِّي بآثار الثياب مبيتنا ونلقط رَفْضاً من جُمانٍ تُحَطِّمُ
وقال عمر^(٢) :

فقامت تُعَفِّي بالرداء مكاننا وتطلب شذراً من جُمانٍ مُبَدِّدٍ
وكلتا الصورتين واحدة .

٢ - بلغ سحيم في شعره مستوى رفيعاً من الأسلوب الجزل مع محافظته على الرقة والحلاوة، مما دعا عالمين عربيين كبيرين كابن الأعرابي والمفضل الضبي إلى إطلاق صفة (الدياج الخسرواني) على قصيدته الياثية - وليست أحسن قصائده - ولعل مما يثير العجب أن يبلغ سحيم - وهو العبد الحبشي - هذا المستوى الراقى، وكأنه بذلك يمهد الطريق لعدد غير قليل من الشعراء من الفرس والروم الذي بلغوا مرتبة عالية في البيان والشعر .

أشعار سحيم قبل قتله

لم يحفظ لنا ديوان سحيم قصيدة كاملة قبل موته، وإنما هي أبيات متناثرة في الديوان قال بعضها وهو محبوس وقال بعضها عند قتله .

(١) الديوان : ٣٥ وروى (فضاً) بدل (رفضاً) وهما المقد المتناثر

(٢) الديوان : ٤٨٢

قال سحيم وهو محبوس^(١) :

فَإِنْ تَحْبِسُونِي تَحْبِسُوا ذَا وَلِيدَةٍ وَإِنْ تُطْلِقُونِي تُطْلِقُوا أَسَدًا وَرَدًا^(٢)
وَمَا الْحَبْسُ إِلَّا ظِلٌّ بَيْتٍ سَكَنَهُ وَمَا الْجِلْدُ إِلَّا جِلْدَةٌ قَارَنْتُ جِلْدَ

وقال^(٣) :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَقَدْ أَسَخَنْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَظُنُّونَا
وَقَدْ ضَمَمْتُ إِلَى الْأَحْشَاءِ جَارِيَةً عَذِبْتُ مُقْبِلَهَا مِمَّا تَصُونُونَا

وقال^(٤) :

إِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي وَقَدْ جَرَى لَهَا غَرَقٌ فَوْقَ الْفَرَاشِ وَمَاءُ
وقال^(٥) :

شَدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَفْلُتْكُمْ إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جِيْنٍ فَتَاتَكُمْ غَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاشِ وَطِيبٌ

ملاحظة : ألاحظ في هذه الأبيات التي قالها سحيم في حبسه وقبل قتله أنه يحافظ
على عزة نفسه، بل إنه يتحدى سجانیه ويعيرهم بقتله، ويثير غضبهم وغيرتهم
بذكر علاقته بنسائهم .



(١) الديوان — ٥٧

(٢) ذو وليدة : ابن وليدة وولد أمة. الورد : الأحمر صفة للأسد

(٣) الديوان : ٥٩

(٤) الديوان : ٦٠

(٥) الديوان : ٦٠

هدية بن الحشرم

(... - نحو ٦٠ هـ)

(... - نحو ٦٧٠ م)

المصادر

٢١ : ٢٥٣ ... ٢٧٤	١ الأغاني
٦٧٦ — ٦٧١	٢ الشعر والشعراء
٤٧٢	٣ حماسة أبي تمام
...../٩٩/٢٤	٤ حماسة البحتري
٢٥٦ : ١	٥ المفتالون
٣٩٧/٣٩٠	٦ المحبر
٤٦٠	٧ معجم الشعراء
١٥٥ : ٧	٨ الحيوان
في مواضع كثيرة	٩ الكامل
..... ١٨٢	١٠ الزهرة
٢٧٤ — ٢٨٠ / ٤٤٣ — ٤٤٤	١١ شرح شواهد المغني
٤٤ : ١	١٢ الحماسة البصرية
..... ٨١ : ٤	١٣ خزانة الأدب
٤٧٤/٢٢٧/٥٥	١٤ حماسة ابن الشجري

مصدر هام مفقود

جاء في الفهرست لابن النديم في أخبار الزبير بن بكار (ص ١٦٧) أن للزبير بن بكار كتاب (أخبار هذبة) وهو، ويا للأسف، كتاب مفقود ولو عثرنا عليه لكان فيه خير كثير .

نسبه

هو هُدبة بن نخشرم، من عُذرة

وكان له ثلاثة أخوه كلهم شعراء : حوط وسيحان والواسع
وأهمهم حَيَّة بنت أبي بكر ... وكانت شاعرة أيضاً
وكان يكنى أبا سليمان»

كان راوية للشعر

١ - كان هُدبة راوية للخطيئة

٢ - وكان الخطيئة راوية لكعب بن زهير

٣ - وكان جميل بثينة راوية لهُدبة بن الخشرم.

٤ - وكان كثير عزة راوية جميل.

النزاع بينه وبين زيادة بن زيد :

اصطحب هُدبة وزيادة وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان
السوق بالإبل، ومع هُدبة اخته فاطمة فتزل زيادة فارتحل فقال :

(١) عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبَعِي فَاطِمَا مَا بَيْنَ أَنْ يُرَى الْبَعِيرُ قَائِمَا

(٢) أَلَا تَرَيْنِ الدَّمْعَ مِنْي سَاجِمَا حَذَارُ دَارِ مِنْكَ أَنْ تُلَاقِمَا

(٣) فَفَرَّجْتُ مَطَرْدًا عَرَاهِمَا فَعَمَّا يَبْذُ الْقُطْفُ الرُّوَّاسِمَا

(٤) كَأَنَّ فِي الْمُنَاقِ مِنْهُ عَائِمَا إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تَبَاغِمَا

(٥) نَحُودًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمَآكِمَا مِنْهَا نَقَاً مَخَالِطُ صَرَائِمَا

(٦) خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا وَمِنْ مَنَادٍ تَبْتَغِي مَعَاكِمَا

فغضب هُدبة حين سمع زيادة يرجز بأخته، فتزل فرجز بأخت زيادة، وكانت

تدعى أم خازم وقيل : أم قاسم فقال :

(٥) معجم الشعراء ٤٦٠

(١) ما بين أن يرى البعير قائما : أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه

(٢) مطرد : متتابع السير. عراهم : شديد. فعم : ضخم. الرسيم : سير فوق العنق. الرواسم : الإبل التي تسير هذا السير.

(٤) المناقة : الزمام. عالم : سابع. تباغم : تتكلم.

(٥) البوص : العجز. المأكم : ج مأكمة. وهما مأكمتان عن بين العجز وشماله. النقا : ما عظم من الرمل. والصرايم

: دون ذلك

(٦) معاكما : يعبك على عكحك (العكم : الخناج والرحل) حتى تشده.

- (١) لقد أراني والغلام الحازما تُرجى المطى ضُمرأ سواهما
- (٢) متى تقول القلص الرواسما والجلَّة الناجية العياهما^(١)
- (٣) يبلغن أم قاسم وقاسما إذا هبطن مُستَحيراً قاتما
- (٤) ورفع الحادي لها الهمما ألا ترين الحزن مني دائما
- (٥) حذار دار منك أن تلاثما والله لا يشفي الفؤاد الهائما
- (٦) تمسأحك اللبسات والمآكا ولا اللحام دون أن تلامما
- (٧) ولا اللثام قبل أن تفاقما وتعلو القوائم القوائما^(٢)

زيادة يهاجم هدبة ويبحرجه

قال : فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلاً فصاح بهما القوم : اركبا — لاهلكما الله — فإننا قوم حجاج. وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه. وهدبة أشدهما حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، وكانت أخت زيادة غائبة. فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما.

فلما وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطاً من أهل بيته، فبيت هدبة فضربه على ساعده وشج أباه خشرماً. وقال زيادة في ذلك :

- (١) شَجَجْنَا خَشْرماً في الرأس عَشْراً ووقفنا هديئة إذ هجانا^(٣)
 - (٢) تركنا بالعويند من حسين نساء يلتقطن به الجمانا^(٤)
- فقال هدبة :

- (١) فإن الدهر مؤتلف جديد وشُر الخيل أقصرها عنانا
- (٢) وشُر الناس كل فتى إذا ما مرَّته الحرب بعد العصب لانا^(٥)

هدبة يقتل زيادة :

فلم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة، حتى أصابها، فبيته فقتله، وتنحى مخافة

(١) تقول القلص : أوردته النحويون شاهداً على أعمال القول أعمال الفطن. العياهم : الشداد

(٢) تفاقم : تزيد وتكثر.

(٣) وقفنا : من التوقيف في اليدين والرجلين، وهو سواد وبياض يكون فيهما

(٤) العويند وحسين : موضعان

(٥) العصب : يسكون الصناد : الفهر

السلطان. وعلى المدينة يومئذ سعيد ابن العاص فأرسل إلى عم هدية وأهله فحبسهم في المدينة، فلما بلغ ذلك هدية أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبدالرحمن بن زيد، أخو زيادة، إلى معاوية وأورد كتابه على سعيد بن العاص بأن يقيد منه إذا قامت البيئة عليه، فسأله سعيد البيئة فأقامها :

هدية بن الخشرم عند معاوية :

كره سعيد بن العاص أن يحكم بين عبدالرحمن بن زيد وهدية بن الخشرم فحملهما إلى معاوية، فلما صارا بين يديه قال له معاوية : قل يا هدية قال : إن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت. قال : بل شعراً فقال هدية ارتجالاً :

(١) ألا يا لقومي للنوائب والذهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
(٢) وللأرض كم من صالح قد تأكمت عليه فوارثه بلماعة قفر^(١)
(٣) فلا تتقي ذا هية في جلاله ولا ذا ضياع، هن يتركن للفقر
(٤) رُمينا فرامينا فصادف رمينا متايا رجال في كتاب وفي قدر
(٥) وأنت أمير المؤمنين فمالنا ورائك من معدى ولا عنك من قصر
(٦) فإن تك في أموالنا لم نضق بها ذراعاً، وإن صير فنصبر للصبر
فقال له معاوية : أراك قد أقررت يا هدية فقال له عبدالرحمن : أقدني فكره ذلك معاوية وضمن بهدية عن القتل فقال : الزيادة ولد ؟ قال : نعم أصغير أم كبير ؟ قال : بل صغير. قال يحبس هدية إلى أن يبلغ ابن زيادة فأرسله إلى المدينة فحبس بها سبع سنين وقيل ثلاث سنين .

عبدالرحمن بن زيد، أخو زيادة، يأبى الدية

مشيت قبيلة عذرة إلى عبدالرحمن، وسألوه قبول الدية، فامتنع من ذلك وقال : أنختم علينا كل كل الحرب مرة فتحن منيخوها عليكم بكل كل فلا يدعني قومي لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل وسأله سعيد بن العاص، والي المدينة أن يقبل الدية منه وقال :

(١) تأكمت : صارت أكمة

أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء^(١) ولا ذات داء فقال :
والله لو نقيت لي مجلسك هذا ثم ملأته ذهباً ما رضيت به من هذا وقال :
تَعَزَّى عَنْ زِيَادَةِ كُلِّ مَسْئِلَةٍ خَلَّيَ لَا تَأْوُبُهُ الْهَمْزُومُ^(٢)
وكيف تجلد الأذنين عنه ولم يقتل به الثأر المنيم^(٣)
ولو كنت المصاب وكان حياً لشر لا ألف ولا سوء^(٤)
ولا هبابه بالليل فكس ولا ورغ إذا يلقي جثوم^(٥)
فدفع سعيد إليه هدية موثقاً بالحديد.

مقتل بطل

هنا تبدأ قصة قتل هدية، وهي قصة تختلط فيها الحقيقة بالزخرفة، والواقع بالخيال، بل إن الخيال يمتد إلى ما بعد قتل هدية، ومهما يكن من أمر فإن هدية مات بطلاً لا يبالي بالموت، بل كان يسير إليه، وهو يرقل في مشيته، وكان ينظم الشعر، وهو يساق إلى القتل.

دفع سعيد إلى عبدالرحمن بن زيد سجينه هدية بن الخشرم موثقاً بالحديد فقال هدية:

فإن تقتلوني في الحديد فإنني قتلت أحمك مطلقاً لم يقيد
فقال عبدالرحمن : لا والله لا قتلته إلا مطلقاً فأطلق.

ولما ذهب به إلى الحرة ليقتله اعترضه عبدالرحمن بن حسان، وهو يرقل إلى الموت، فقال: ما هذا يا هذب ؟ قال : لا آتي إلى الموت إلا شدا.
قال : أنشدني. قال: على هذا من الحال. قال : نعم فأنشده:

ولست بمفراح إذ الدهر سرتني ولا جازع من صرفة المتقلب
ولا أتبعني الشر والشر تاركني ولكن متى أحمل على الشر أركب
وخر بني مولاي حتى خشيت متى ما يحربك ابن عمك تحرب
ولما جيء به ليقتل قال :

ألا علاني قبل نوح النوائح وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

(١) جداء : قليلة اللبن

(٢) تأوبه : تمتاده وتراجعه

(٣) التمسك : الضعيف المقصر. الجبان. الجنوم : الذي يلمص بالأرض. وهو الأرنب

وقبل غد يالهف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي تفيض عيونهم وغودرت في لحد علي صفائح
يقولون : هل أصلحت لأخيكُم وما القبر في الأرض الفضاء بصالح
ونظر إلى امرأته، وكانت من أجمل النساء، وكان أنفه قد جدع في حرب فقال :
فإن كان أنفي بان منه جماله فما حسبي في الصالحين بأجدعا
أقلى علي اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا^(١)
كليلاً سوى ما كان حد ضرره أكيد مبطان العشيات أروعا^(٢)
ضروباً بلخيته على عظم زوره إذا الناس هشوا للفعال تقنعا^(٣)
وحلي بذي أكرومية وحمية وصبر إذا ما الدهر غص فأسرعا
وكوني حبيساً أو لأروغ ما جد إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا^(٤)
فسألت امرأته الناس أن يمهلوه قليلاً ثم أتت جزاراً فأخذت منه مدية فجذعت
أنفها، ثم أتته مجدوعة الأنف فقال : أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ فقال:
الآن طاب الموت .

وقال النوفلي عن أبيه (الأغاني ٢١ : ٢٧٠) :

إنها فعلت ذلك بحضرة مروان — والي المدينة — وقالت له :

إن هدية عندي وديعة، فأمهله حتى آتية بها. قال: أسرع، فإن الناس قد
كثروا، وكان جلس لهم بارزا عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهدت إلى قصاب
وقالت: أعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين، وأنا أردّها عليك، ففعل، فقربت
من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جذعت أنفها من أصله، وقطعت
شفتيها، وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت:

يا هدية. أتراني متزوجة بعدما ترى ؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت.

(١) الأنزع : من المحسر شعره عن جبينه ووقفه

(٢) الكليل : الضعيف العزم. ما كان من حد ضرره : إلا في الأكل . الأكيد : المصاب في كبده. أروغ : جبان
في هذا البيت من الروع

(٣) اللحيان : الفك. هشوا : فرحوا بالمكارم. تقنع : غشى وجهه

(٤) الأروغ هنا : الماجد الكريم من الروعة. أعشاش الرجال : يخلأ الناس

ومر هدية بحبي — وهي امرأة اشتهرت بالحب — فقالت:
كنت أعدك من الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأنني لا أنكر أن يصبر الرجال
على الموت. ولكن كيف تصبر عن هذه — وأشارت إلى زوجته — فقال:
— أما والله إن حبي لها لشديد، وإن شئت لأصفن لك ذلك، ووقف الناس
معه فقال:

وجدتُ بها ما لم تجدُ أمَّ واحدٍ ولا وجدَ حُبِّي بابن أم كلاب
رأته طویل الساعدين شمر دلاً كما تشتهي من قوة وشباب^(١)
فانقمعت داخل بيتها فأغلقت الباب دونه. وفي رواية أخرى: مر بهدية على
حبي، فقالت له: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرک وكرمک فقال هدية:
تعجب حبي من أسير مكبل صليب العصا باق على الرسفان^(٢)
فلا تعجبي مني حليمة مالك كذلك يأتي الدهر بالحدثان
ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الشكل، فهما بسوء حال.
فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليوم صبراً منكما إن حزننا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت إلا هيناً إن بعد الموت دار المستقر
إصبرا اليوم فإني صابرٌ كل حَيٍّ لفناءٍ وقدّر
ثم قال:

أذا العرش إني عائذ بك مؤمنٌ مقرٌ بزلاتي إليك فقيرٌ
وإني وإن قالوا: أميرٌ مسلطٌ وحجابٌ أبواب لمن صريرٌ
لأعلم أن الأمر أمرٌك إن تدنّ فرت، وإن تغفر فأنت غفورٌ
قالوا: وقام إليه عبدالرحمن بن زيد، وهز السيف ثم قال:
قد علمت نفسي وأنت تعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه
ثم قتله.

ويقال إن الذي تولى قتل هدية المسور بن زيادة، دفع إليه عمه السيف وقال له:

(١) الشمر دَل : الجميل
(٢) الرسفان : مشي المقيد في قيوده

— اقتل قاتل أهلك

قالوا : فاستأذن هدية في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر فقال:

لولا أن يظن لي الجزع لأطلتكما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ثم أقبل على المسور بن زيادة فقال:

— أثبت قدميك، وأجد الضربة، فأني أيتمك صغيراً، وأرملت أمك شابة فقام زيادة فضربه ضربتين قتله فيهما

هدية بعد الموت:

قال هدية لأهله قبل موته:

إنه بلغني أن القاتل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فأني قابض رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل.

وهكذا ينتهي قتل هدية بن الحشرم بأسطورة بعد أن أحيط بكثير من الزخرف.

واسع بن الحشرم يرثي أخاه هدية لما قتل ويقول:

(١) يا هذبُ يا خيرَ فتيانِ العشيرةِ مَنْ يَفْجَعُ بِمِثْلِكَ في الدنيا فقد فجعاً

(٢) الله يعلمُ أنني لو خشيتهم أو أوجس القلبُ من خوفٍ لهم جزعاً

(٣) لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم حتى نعيش جميعاً أو نموت معاً

وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن

أبي طالب، — رضي الله عنه — لما بلغه قتل أخيه محمد

أم هدية كانت شاعرة:

قالت أم هدية فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

(١) أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا أسيركم إن الأسيرَ كريمٌ

(٢) فربَّ كريمٍ قد قرأه وضافه وربُّ أمورٍ كلُّهنَّ عظيمٌ

(٣) غصى جُلُها يوماً عليه فراضه من القوم عيافٌ أشمٌ حلِيمٌ

شعره :

حظي شعر ابن الحشرم بعناية الرواة والعلماء والنحويين؛ فاستشهد النحاة بشعره

في أكثر من موضع.

جاء في الأغاني (الدار) ٢١ : ٢٧٣.

..... حدثني مصعب الزبيري :

كنا بالمدينة، أهل البيوتات، إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدية وزيادة وأشعارم
ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها.

وجاء في موضع آخر من الصفحة نفسها :

كان هدية أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه وقال (٢١ : ٢٥٤
وهدية شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز

وقال المرزباني في معجم الشعراء : ص ٤٦٠

وهو شاعر مفلق، كثير الأمثال في شعره

ويبدو أنه نظم كثيراً من الشعر في سجنه الطويل، بل نظم كثيراً من الشعر
وهو يساق إلى القتل، وقل أن نجد من يملك من نفسه وشجاعته لينظم كل
هذا الشعر في هذا الموقف.

ويتميز شعره في سجنه وقتله :

١ — بقوة النفس واستقبال السجن والقتل في شجاعة.

٢ — عدم التذلل والخضوع في التماس عفو سجنائه وقتلته

٣ — البوح الصادق والنجوى العميقة التي يخلو فيها إلى نفسه وإلى زوجه

ذكر الأصفهاني أن شعر هدية بن الخشرم كان مما يغنى به، وقد ذكر لنا
موضعين غنى بها المغنون بشعر هدية.

١ — الجزء ٢١ : ص ٢٥٣

صوت

ألا يا لقومي للنوائب والدهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد توأدت عليه فوارتة بلماعية قفر^(١)
لشعر هدية بن الخشرم، والغناء لمعبد. ثقیل أول باطلاق الوتر في مجرى البصر
عن إسحاق

٢ — الجزء ٢١ : ٢٦٧

(١) توأدت : قد تلامت عليه أي وارته ويروى : تأكمت أي حارت أكمة

صوت

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سَرَبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زَقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ^(١)
تَضَمَّنْ بِالْجَنَادِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا أَلْ أَنْوْفُ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُنَّ رَوَاعِفُ^(٢)
خَرَجْنَ بِأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ وَأَعْيُنِ أَلْ جَازِرِ وَأَرْتَجَّتْ لَهُنَّ السَّوَالِفُ^(٣)
فَلَوْ أَنَّ شَيْئاً صَادَ شَيْئاً بِطَرْفِهِ لَصَدَّنْ ظُبَاءٌ فَوْقَهُنَّ الْمَطَارِفُ
(الشعر هدية) غنى فيه الغريض، رملاً بالبنصر، من رواية حبش، وفيه لحن
خفيف ثقيل وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

قصيدته في رثاء نفسه قبل الموت

تمهيد^(٤) :

اختلفت المصادر في عدد أبيات القصيدة، ومن أجمع هذه المصادر

١ - القالي في الأمالي وتقع في ١٥ بيتاً

٢ - حماسة ابن الشجري وتقع في ١٩ بيتاً

٣ - خزانة البغدادى وتقع في ٢٤ بيتاً

وقد جمع بين أبيات القالي وابن الشجري واخترنا رواية الخزانة :

قال هدية بن خشرم وهو في الحبس :

(١) طربت وأنت أحياناً طروبٌ وكيف وقد تملأك المشيبُ

(٢) يُجَدُّ النَّأْيُ ذَكَرَكَ فِي فَوَادِي إِذَا ذَهَلْتَ عَلَى النَّأْيِ الْقُلُوبُ

(٣) يَورِقُنِي اكْتِثَابُ أَبِي نَمِيرٍ فَقَلْبِي مِنْ كَأَبْتِهِ كَسِيبُ

(٤) فَقُلْتُ لَهُ : هَذَاكَ اللَّهُ مَهلاً وَخَيْرُ الْقَوْلِ ذُو اللَّبِّ الْمَصِيبُ

(٥) عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَائِهِ فَارَجٌ قَرِيبُ

(٢) في البيت أقواء.

(٣) الجهادي : الزعفران.

(٤) السوالف : ج سالفه، وهي جانب العنق.

(٥) الأبيات متفاوتة العدد في القالي ١ : ٧٢ والحماسة الشجرية ٢٢٧ والسمط ٢٤٩ والخزانة ٤ : ٨٢ - ٨٣

والعيني ٢ : ١٨٤ والسيوطي ٥٦ و ١٥٢ والمرزباني ٤٨٣ والعقد ٣ : ١٨٢ والبحري ٢٢٤ والحماسة البصرية ٤٤

- ٤٥ - وأمالى المرتضى ٢ : ٢٢٢ ويخاطب بها ابن عمه أبا عمرو، وكان معه في السجن.

(١) ويروى : وقد تغشاك بدل (وقد تملأك) والمعنى واحد.

- (٦) فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب
 (٧) ألا ليت الرياح مسخرات بحاجتنا تباكر أو تؤوب
 (٨) فتخبرنا الشمال إذا أثنا وتخبر أهلنا عنا الجنوب
 (٩) فإننا قد حللنا دار بلوى فتخطئنا المنايا أو تصيب
 (١٠) فإن بك صدّر هذا اليوم ولّى فإن غدا لناظره قريب
 (١١) وقد علمت سليمي أن عودي على الحدّثان ذو أيدي صليب
 (١٢) وأن خليقتي كرم وأنّي إذا أبدت نواجذها الحروب
 (١٣) أعين على مكارمها وأغشى مكارمها إذا كعّ الهبوب
 (١٤) وقد أبقى الحوادث منك ركناً صلياً ما تؤيسه الخطوب
 (١٥) على أن المنية قد توافي لسوقتي والنواب قد تنوب
 (١٦) وأنّي في العظام ذو غناء وأدعى للفعال فأستجيب
 (١٧) وأنّي لا يخاف الغدر جاري ولا يخشى غوائل الغريب
 (١٨) وكم من صاحب قد بان عني رُميت بفقده وهو الحبيب
 (١٩) فلم أبد الذي تخنر ضلوعي عليه، وإنّي أنا الكئيب
 (٢٠) مخافة أن يراني مستكيناً عدوّ أو يساء به قريب
 (٢١) ويشمت كاشع ويظن أنّي جزوع عند نائبة تنوب
 (٢٢) فيعدك سدت الأعداء طرقاً إليّ ورابي دهر قريب
 (٢٣) وأنكرت الزمان وكلّ أهلي وهرتني لغيتك الكليب
 (٢٤) وكنت تقطع الأبصار دوني وإن وغرت من الغيظ القلوب



(٦) العالي : الأسير

(١٢) النواجذ : الأتواب

(١٢) كعّ : جبن وضعف. الهبوب : الخائف

(١٤) تؤيسه : تضعفه

(١٧) القوائل : الخنر والإساءة.

(٢٠) مستكيناً : خاضعاً

(٢١) الكاشع : المبغض المعادي

(٢٣) الكليب : جمع كلب مثل العيد جمع عبد

(٢٤) الوغر : الحقد والضغن يقال : وعر صدره إذا توقد من الغيظ

مالك بن الريب

(... - نحو ٦٠ هـ)

(... - نحو ٦٨٠ م)

المصادر

- مصادر مالك بن الرب كثره أهمها :
- ١ الأمالى ٣ : ١٣٥... والقصيدة تكاد تكون كاملة فيه.
 - ٢ الأغاني (الدار) ٢٢ : ٢٨٥ — ٣٠١
 - ٣ أنساب الأشراف ٥ : ١٢٠
 - ٤ البيان والتبيين ٣ : ٣٧
 - ٥ تاريخ الطبرى ٦ : ١٧١
 - ٦ حماسة أبى تمام (المرزوقى) : ٣٦٢ / ٨٩٢
 - ٧ حماسة أبى عبادة البحرى : ٨ / ٣٩
 - ٨ حماسة ابن الشجرى : ٢٢ / ٥١ / ٧٣
 - ٩ خزانة الأدب ١ : ٣٧٨ / ٢ : ٣٠٣ / ٣ : ١٧٦ / ٤ : ٥١٩
 - ١٠ الشعر والشعراء ٣٥٤ — ٣٥٥
 - ١١ العقد الفريد ٢ : ١٥٩
 - ١٢ معجم البلدان (جهران) / جهران / الحوش / غاف / الغمى / الذحل /
سنام / طاس / الرقمتان / السمينة / الطيسان / الفضأ / مرو /
الشبكة / المثل / رجا المثل / بولان / خراسان...
 - ١٣ معجم ما استعجم : فى أماكن كثيرة تشترك مع أماكن معجم البلدان
 - ١٤ الأعلام ١٥ شعراء أمويون : القسم الأول.
 - ١٦ أشعار اللصوص وأخبارهم ج ٢ : ٢٤٧ — ٢٩٧
 - ومصادر كثيرة أخرى.

منزله :

ما أظن شاعراً بلغ من المنزلة ما بلغها مالك بن الريب، وقد أسهمت قصيدته
البائية التي رثى بها نفسه إسهاماً بعيداً في شهرته...

نسبه :

مالك بن الريب بن حوط، من قبيلة مازن ثم من بني تميم.

حياته وعصره :

ذكر صاحب الأعلام في ترجمة مالك أنه توفي نحو عام ٦٠ هـ و ٦٨٠ م.
ولم يذكر تاريخ ولادته، وأخمن أنه لم يتجاوز خمسين سنة حين مات. فهو إذن
من شعراء بني أمية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان على الخصوص.

سماؤه :

ذكر صاحب الأغاني أن مالكا كان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً. وأن
سعيد بن عثمان بن عفان أعجبه لما رآه.

لصوصيته :

كان مالك من أشهر لصوص العرب، ويحدد مالك أسباب قطعه للطريق بقوله
لسعيد بن عثمان حين سأله :

- ما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العيث والفساد ؟

فأجاب مالك :

- يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان.

في بادية بني تميم والبحرين :

بدأ مالك بن الريب حياته في اللصوصية والفتك في بادية بني تميم، فكان يقطع

الطريق هو وأصحاب له... فساموا الناس شراً وطلبهم مروان بن الحكم وهو عامل على المدينة فهربوا، فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي يطلبهم فهربوا منه... فبعث إليه الحارث رجلاً من الانصار فأخذه، وأخذ صاحبه أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة، وتخلف الانصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكا، فتغفل مالك غلام الانصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه وقتله به، وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله وجعل يقتل من كان معه يمينا وشمالاً.

ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه وركبا إبل الأنصاري وخرجا فراراً من ذلك هارين حتى أتيا البحرين، واجتمع أصحابهما إليهما، ثم قطعوا الطريق إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد ابن عثمان فاستصحبه.

في خراسان :

استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان^(١)، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقه مالك بن الربيع المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً. وأحسنهم ثياباً، فلما رآه سعيد أعجبه وقال له :

— مالك ويحك، تفسد نفسك بقطع الطريق ؟ وما يدعوك إلى ما يلفتني عنك من العيث والفساد، وفيك هذا الفضل ؟ قال :

— يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان. قال سعيد : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟

قال مالك : — أي والله أيها الأمير. أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه. فاستصحبه سعيد وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

اشتراكه في الفتوح ومرضه :

شهد مالك فتح سمرقند، وتنسك، وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في مرو وقيل

(١) في اسم الوالي الذي عفا عن مالك واستصحبه خلاف (انظر المرزباني)

بل طعن فسقط وهو بآخر رمق.

قصة القصيدة :

أحسن مالك بالموت، وهو مريض، فقال قصيدته المشهورة في رثاء نفسه :
ألا ليت شعري، هل أيتن ليلةً بوادي الغضا، أزجي القلاص النواجيا
وتختلف بعد ذلك الروايات حول هذه القصيدة :

١ - الرأي الأول يرى أنها كلها له.

٢ - الرأي الثاني ويراه أبو عبيدة معمر بن المثنى حين قال :
إن الذي قاله مالك من القصيدة ثلاثة عشر بيتاً، أما سائرهما فمنحول عليه.
٣ - الرأي الثالث، وهو رأي يميل إلى الأسطورة يقول : بل مات في خان فرثه
الجان لما رأت من غربته ووحدته، ووضعت الجن الصحيفة التي فيها القصيدة تحت
رأسه.

وهكذا تنتهي حياة الشاعر بأسطورة طريفة.

القصيدة :

جاء في معجم البلدان : (أبو شهر) قال السكري في خبر مالك بن الربيع :
فلم ينل منه (من سعيد بن عثمان) مما وعده به شيئاً، واتبع ذلك بحفوة، فترك
سعيداً وقفل راجعاً، فلما كان بأبو شهر، وهي نيسابور، مرض فقيل له : ما
تشتهي ؟ فقال :

- أشتي أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه، أو أرى سهيلاً (نجماً يطلع من ناحية
اليمن)، وأخذ يرثي نفسه :

(١) ألا ليت شعري هل أيتن ليلةً بجانب الغضا، أزجي القلاص النواجيا
(٢) فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب ليالياً

(١) الغضا : شجر ينبت في الرمل، أزجي : أسوق، القلاص النواجيا : النوق المريعة

(٢) ليت الغضا طال فلم يقطعه الركب، أو ليت ماشى معه.

- (٣) وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت
(٤) لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا
(٥) ألم ترني بعث الضلالة بالهدى
(٦) وأصبحت في أرض الأعادي بعدما
(٧) دعاني الهوى من أهل أود وصحبتني
(٨) أجبت الهوى لما دعاني بز فرة
(٩) أقول — وقد حالت قرى الكرد بيننا :
(١٠) إن الله يرجعني من الغزو لا أرى
(١١) تقول ابنتي لما رأث وشك رحلتني :
(١٢) لعمرى لئن غالت خراسان همتي
(١٣) فإن أنج من باتي خراسان لا أعذ
(١٤) فله ذري حين أترك طائعا
(١٥) وذر الظباء السانحات عشية
(١٦) وذر كبيرتي اللذين كلاهما
(١٧) وذر الرجال الشاهدين تفتكي
(١٨) وذر الهوى من حيث يدعو صحابي
(١٩) تذكرت من يبكي علي فلم أجذ
(٢٠) وأشقر عبوك يجر لجامه
(٢١) يقاد ذليلاً بعد ما مات ربه
(٢٢) ولكن بأكناف السمينة نسوة
(٢٣) صريع على أيدي الرجال بقررة
- بطول الغضا حتى أرى من ورائي
مزار ولكن الغضا ليس داني
وأصبحت في جيش ابن عفان غازي
أراني عن أرض الأعادي نائي
بذي الطيسين فالتفت ورائي
تفتت منها — أن ألام — ردائي
جزى الله عمراً خيراً ما كان جازي
— وإن قل مالي — طالباً ما ورائي
سفارك هذا تارك لا أبالي
لقد كنت عن باتي خراسان نائياً
إليها وإن منيتموني الأمانيا
بني بأعلى الرقمتين وماليا
يخبرن أني هالك من ورائي
علي شفيق ناصح لو نهانيا
بأمري ألا يقصروا من وثاقيا
وذر لجاجاتي وذر انتهائيا
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
يباغ يبحر بعد ما كان غاليا
عزيز عليهن العشية ما ييا
يسوون لحدي حيث حم قضائيا

(٥) بعد ما كنت فيه من الفتك والضلال صرت في جيش سعيد بن عثمان

ملاحظة : أكثر تفسير الآيات من كتاب الأمالي لعل بن القائي ٣ : ١٣٥

(٧) أود — بضم الهمزة — قال البكري : موضع ببلاد مازن والطيسان : كورتان بخراسان يقول : دعاني الهوى وتشوق لي هذا المكان إلى أصحابي في مكان آخر بعيد.

(٨) لما ذكرت ذلك الوضع بكيت فاستحييت ففتحت بردائي لكي لا يرى أصحابي بكائي.

(١٢) غالت خراسان همتي : أهلكنتي.

(٢٣) السمينة : موضع قريب من أود المذكور (٢٣) حم : حل ودنا

- (٢٤) ولما تراءت عند مَرَوْ مَيْتِي
 (٢٥) أَقُولُ لأَصْحَابِي ارفَعُونِي فَإِنَّهُ
 (٢٦) فَيَا صَاحِبِي رَحِلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا
 (٢٧) أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
 (٢٨) وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي فَهَيْثَا
 (٢٩) وَخُطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي
 (٣٠) وَلَا تُحْسِدَانِي — بَارِكْ اللَّهُ فِيكُمَا —
 (٣١) تُحْذَانِي فَجُرَّانِي بِشَوْبِي إِلَيْكُمَا
 (٣٢) وَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ
 (٣٣) وَقَدْ كُنْتُ صَبَارًا عَلَى الْقَرْيِ فِي الْوَغَى
 (٣٤) وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا عَلَى الزَّادِ وَالْقَرْيِ
 (٣٥) فَطَوَّرَا ثَرَانِي فِي ضَلَالٍ وَنِعْمَةٍ
 (٣٦) وَيَوْمًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
 (٣٧) وَقُومَا عَلَى بَثْرِ السُّمِينَةِ أُسْمِعَا
 (٣٨) بِأَنْكُمَا خَلْفَتُمَانِي بِقَفَرَةٍ
 (٣٩) وَلَا تُنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا
 (٤٠) وَلَنْ يَعْذَمَ الْوَالُونَ بَثًّا يَصِيهُهُمْ
 (٤١) يَقُولُونَ : لَا تُبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي
 (٤٢) غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
 (٤٣) وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
 (٤٤) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتِ الرَّحَا
- وَحُلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
 يَقَرُّ بَعِينِي أَنْ سَهِيلٌ بَدَا لِيَا
 بِرَايِيَّةٍ، إِنْ مَقِيمٌ لِيَا لِيَا
 وَلَا تُعْجَلَانِي، قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
 لِي السُّدَرُ وَالْأَكْفَانُ عِنْدَ فَنَائِيَا
 وَرَدًّا عَلَى عَيْنِي فَضْلُ رَدَائِيَا
 مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تَوْسِعَالِيَا
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
 سَرِيعًا لَدَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
 ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَضْبًا لِسَانِيَا
 وَعَنْ شَتْمِي ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَانِيَا
 وَطَوَّرَا ثَرَانِي، وَالْعَتَاقُ رِكَائِيَا
 تُخَرِّقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
 بِهَا الْغُرُ وَالْبَيْضُ الْحَسَانُ الرِّوَانِيَا
 تَمِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَافِيَا
 تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلِي عِظَامِيَا
 وَلَنْ يَعْذَمَ الْمِيرَاثُ مِنِّْي الْمَوَالِيَا
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبَعِيدِ إِلَّا مَكَانِيَا ؟
 إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا
 لِغَيْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا
 رَحَا الْمُثَلِّ أَوْ أُمْسَتْ بِفُلْجٍ كَمَا هِيََا

(٢٤) مرو : مدينة بخراسان — خل : ضعف

(٢٥) يريد أن سهيلاً — وهو نجم يبدو في اليمن — لا يرى بخراسان فارغاً لعل أراه فخر عيني برؤية بلادي.

(٣٢) أكر على أعدائي في الحرب إذا أدبر الفرسان.

(٣٤) وانبا : مقصراً.

(٣٦) الرحى المستديرة : ميدان المعركة (٤٠) نصيب أصدقائي الحزن على ونصيب أقربائي وراثته مالي.

(٤٢) أدجلوا : ساروا ليلاً. (٤٤) المثل : يضم الميم وسكون الراء : موضع نعلج — فلج : موضع في بلاد بني مازن.

- (٤٥) إذا الحَيُّ حَلَّوْهَا جَمِيعاً وَأَنْزَلُوا
 (٤٦) رَعَيْنَ، وَقَدْ كَادَ الظَّلَامُ يُجَنِّهَا
 (٤٧) وَهَلْ أَتَرَكَ الْعَيْسَ الْعَوَالِي بِالضُّحَى
 (٤٨) إِذَا غَضَبُ الرِّكْبَانِ بَيْنَ غُنَيْزَةٍ
 (٤٩) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ ؟
 (٥٠) إِذَا مَتَّ فَاعْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
 (٥١) عَلَى جَدَّتٍ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
 (٥٢) رَهِينَةُ أَحْجَارٍ وَتُرْبٍ تَضَمَّنَتْ
 (٥٣) فَيَا صَاحِبِي، إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ
 (٥٤) وَغَرَّ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا
 (٥٥) وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مَوْجِنَا
 (٥٦) بَعُودِ النُّجُوجِ أَضَاءَ وَقُودُهَا
 (٥٧) غَرِيبٌ بُعِيدَ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ
 (٥٨) تَحْمَلُ أَصْحَابِي عِشَاءً وَغَادَرُوا
 (٥٩) أَقْلَبُ طَرَفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى
 (٦٠) وَبِالرَّمْلِ مَنَا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي
 (٦١) وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِنْدِي وَأَهْلِهِ
 (٦٢) فَمِنْهُمْ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي
- بِهَا بَقَرَأ حُمَّ الْعَيُونِ سَوَاجِيَا
 يَسْفِنَ الْخُزَامِي مَرَّةً وَالْأَقَاحِيَا
 بِرِكْبَانِهَا تَعْلُو الْعِتَانَ الْفِيَاثِيَا
 وَبَوْلَانٍ عَاجُوا الْمَبْقِيَاتِ التَّوَاجِيَا
 كَمَا كُنْتُ لَوْ غَالُوا نَعْيُكَ بَاكِيًا
 عَلَى الرَّمْرِ أُسْقِيتِ السَّحَابَ الْغَوَادِيَا
 تَرَاباً كَسَخَقِ الْمَرْثِيَّاتِي هَايَا
 قَرَارَتُهَا مِنِّي الْعِظَامَ الْيَوَالِيَا
 بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
 سَتَفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيًا
 بَعْلِيَاءَ يُثْنِي دُونَهَا الطَّرْفُ رَانِيَا
 مَهْأً فِي ظِلَالِ السَّدْرِ حُوراً جَوَازِيَا
 يَدُ الدَّهْرِ مَعْرُوفاً بِأَنْ لَا تَدَانِيَا
 أَخَاطِقِي فِي عَرْصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
 بِهِ مِنْ عَيُونِ الْمُؤَنَسَاتِ مُرَاعِيَا
 يَكِينٌ وَقَدْ ذِينَ الطَّبِيبِ الْمَدَاوِيَا
 دَمِيماً وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا
 وَبَاكِيًا أُخْرَى تَهِيجُ الْبَوَاكِيًا



- (٤٦) الخزامى : زهرة أطيب الأزهار نفحة — (٤٧) العيس : الأبل — العوالي : العالية — الثان : ج متن ما صلب من الأرض.
 (٤٨) غنيزة : غارة سوداء — المبقيات : التي بقي سيرها — التواجي : التي تنجو أي تسرع في سيرها.
 (٥١) المرنياي : كساء من غز ويقال : مطرف من وبر الأبل — هايا : من ها يهيو أي تار
 (٥٢) رهينة أحجار : أي في القبر، على التراب والحجارة (٥٦) النجوج : شجر طيب الرائحة — مها : غزلان — جوازي : رانيات.
 (٥٧) يد الدهر : مدى الدهر (٦١) قاليا : كلها.
 (٦٢) باكية أخرى تهيج البواكيا : يرهق زوجته.

مُسَرَّة بن محكان

(..... - ٧٠ هـ)

(..... - ٦٩٠ م)

مصادره

- ١ — الأغاني (الدار) ٢٢ : ٢٢٠ — ٣٢٥
- ٢ — معجم الشعراء ٢٩٥/٢٩٦/٣٨٢
- ٣ — معجم مقاييس اللغة ٣ : ٩٢
- ٤ — الحماسة شرح المرزوقي ١٥٩٢
- ٥ — الشعر والشعراء ٦٦٧
- ٦ — الحيوان ٢ : ٣٥٢
- ٧ — الكامل ١ : ١٣٦
- ٨ — خزانة الأدب ٢ : ١٧٣
- ٩ — حماسة البحتري ٢٣٨
- ١٠ — مجموعة المعاني ١٩٠
- ١١ — أمالي المرتضى ١ : ٩٥
- ١٢ — عيون الأخبار ٣ : ٢٦٣
- ١٣ — الطبري ٦ : ١٥٢ — ١٥٦
- ١٤ — أشعار اللصوص وأخبارهم ١ : ١١٩

نسبه

هو مرة بن محكان — قال أبو الفرج — ولم يقع لنا باقي نسبه — أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

أخباره

كان مرة بن محكان شريفاً جواداً، وهو أحد من حبس في المناصرة والاطعام. قال أبو الفرج نقلاً عن المدائني.

كان مرة بن محكان سخياً، وكان أبو البكراء يوائمه في الشرف، وهما جميعاً من بني الرُّبَيْع، فأنهب مرة بن محكان ماله الناس فحبسه عبيد الله بن زياد. فقال في ذلك الأبيرد الرياحي:

حبست كريماً أن يجود بماله سعى في ثأى من قومه متفاقم^(١)
كأن دماء القوم إذ علقوا به على مكفهر من ثايسا الخارم^(٢)
فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب — هداك الله — أعظم حاتم
قال : فأطلقه عبيد الله بن زياد، فذبح أبو البكراء مائة شاة فنحر مرة بن محكان مثلها

هل كان مرة بن محكان لصاً ؟

أكثر القدماء لا يذكرون مرة بن محكان في اللصوص، وقد انفرد بنسبته إليهم المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٩٥ — ٢٩٦ حين قال
(مرة بن محكان من بني عبيد أحد اللصوص ...)

وفي مجموعة المعاني ص ١٩٠ ورد بيتان لمرة بن محكان من قصيدته الياثية ضمن أشعار اللصوص دون نسبة.

وفي هامش كتاب شرح الحماسة للمرزوقي يستغرب المحققان : أحمد أمين وعبد السلام هارون ما قاله المرزباني منه فقالا:

(١) الثأى : الاعتلال والفساد والنقص

(٢) الخارم : ج غرم، وهو أنف الجبل.

(ومن عجب أن يقول المرزباني، إنه أحد اللصوص، وقال قتيبة : كان مرة سيد بني ربيع.)

شعره

قال صاحب الأغاني يذكر مرة :
شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق
فأخفلا ذكره لنباهتهما في الشعر.
وقصيدة مرة في الأضياف التي مطلعها :
أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشِيُّ ذِمَامَتِهِ عَلَى الْكَرِيمِ، وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدْ وَجِبَا
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيَ إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
هذه القصيدة — التي يخاطب بها امرأته — من عيون الشعر العربي

الغناء بشعر مرة :

ذكر أبو الفرج في الأغاني أن شعر مرة كان يغنى به، ولا سيما بقصيدته البائية،
وقد اشترك في الغناء بها ابن سريج ومعبد والغريض وأبو العيس وعرفان المغنية
قال الراوي فاندفعت عرفان فغنت:
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيَ إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
قال : فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائها يومئذ.

مقتله

كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل
من بني تميم — يقال له : مرة بن محكان — رجلاً فلما أراد إمضاء الحكم
عليه أنشأ مرة بن محكان يقول :
أَحَارُ تَلَبَّثْتُ فِي الْقَضَاءِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا إِمَامٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ أَقْصَدَا
وَأِنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحُكْمِ فَاحْتَفِظْ وَمَهْمَا تَصِبُهُ الْيَوْمُ تَدْرِكُ بِهِ غَدَا
فَإِنِّي مِمَّا أَدْرِكُ الْأَمْرَ بِالْآنِي وَأَقْطَعُ فِي رَأْسِ الْأَمِيرِ الْمُهَنْدَا^(١)

(١) الآن : الحلم والأناة.

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات فقال :
أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس
ثم دس إليه من قتله

ويزيد الطبري (٦ : ١٥٢ - ١٥٦) الخبر تفصيلاً فيذكر قاتل مرة قال :
وبعث مصعب بن الزبير، خدش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من
أصحاب خالد (بن عبدالله بن خالد بن أسيد) فأدرك مرة بن محكان، فأخذه
فقال مرة (الأبيات ...) فقربه خدش فقتله، وكان خدش على شرطة مصعب
يومئذ وأضاف ابن قتيبة خبراً آخر فقال :
ولا عقب له .

أقول: وهذا شاعر كلفه بيت من الشعر حياته .

مقطوعة مرة بن محكان قبل قتله

قال مرة، وقد أمر مصعب بن الزبير رجلاً من بني أسد بن خزيمة بقتله :
(١) بني أسد إن تقتلونني تُحاربوا غيماً إذا الحربُ العوان اشتمعت
(٢) بني أسد هل فيكم من هوادة فتعفون، إن كانت بي النعل زلت
(٣) فلا يحسب الأعداء إذ غبت عنهم وأوريت معناً أن حزبي كَلَّتْ
(٤) تمشي خدش في الأسكة آمنة وقد نهلت مني الرماح وعملت
(٥) ولستُ — وإن كانت إلي حبيبة — يالك على الدنيا إذا ما ثولت



(١) العوان : الحروب التي قوتل فيها مرة واحدة على وزن سحاب. اشتمعت : ثارت فامرعت.
(٢) أوريت : لعلها بمعنى حبت من وارى يوارى بالمبني للمجهول. معن : لعله سجن لمصعب
(٣) تمشي خدش في الطرق آمنة، وأنا في السجن أسير مقيد معدب
(٤) هذا التركيب في التقديم والتأخير من أروع ما عرفت في الشعر العربي.

جعفر بن عُلبَة

(... - ١٢٥ هـ)

(... - ٧٤٣ م)

المصادر

- ١ الأغاني : (الدار) ١٣ : ٤٤ — ٥٦
- ٢ عيون الأخبار ١ : ١٩٣
- ٣ حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٣٥٦ — ٣٥٧
- ٤ الحماسة البصرية ١ : ٤٦ / ٢ : ١٢٥
- ٥ الوحشيات : ٢٣
- ٦ خزانة الأدب : ٤ : ٣١٩ — ٣٢٣
- ٧ معاهد التنصيص : ٤٣
- ٨ معجم البلدان : (قرى)

المصادر الحديثة

- ١ الأعلام:
- ٢ أشعار اللصوص وأخبارهم الترجمة رقم ٤١

نسبه :

جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر، أسير يوم الكلاب، بن صلاة وقد مرت ترجمته وقصيدته في أول هذا الكتاب.

قبيلته

بنو الحارث

عصره :

من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وجاء في الأعلام سنة وفاته (... - ١٢٥ هـ) ؟ و (... - ٧٤٣ م) ؟

أبوه وأمه :

علبة بن ربيعة، وكان شاعراً أيضاً، وكذلك كانت أمه ورثى علبة ابنه جعفر بن علبة، كما حرضت أمه أباه على نجاته.

جده :

عبد يغوث، وقد مر بنا أنه رثى نفسه قبل قتله بقصيدته المشهورة :
ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا. ليا
(راجع ترجمته)

أسرته :

كان متزوجاً وله ولد يكنى به وهو عارم، وقد ذكره في شعره .

أخباره

كان جعفر بن علبة يشرب الخمر، وقد شرب مرة فسكر فأخذه السلطان فحبسه، فأنشد يقول في حبسه :

لقد زعموا أني سكرتُ ورُبُّما يكونُ الفتى سكرانَ وهو حلِيمُ

ثم حبس معه رجل من قومه بني الحارث في ذلك الحبس، وكان يقال له (دوران) فقال جعفر :

- ١ إذا بابُ دوران تَرْتُم في الدُّجى وشُدَّ بأَغْلاقِ علينا وأقْفال
- ٢ وأظلم ليلٌ قامَ علَجٌ بجلْجُلٍ يدورُ به حتى الصباح بإعمال
- ٣ وحُرَّاسٌ سَوَّءٌ ما ينامُونَ حوله فكيف لظلمومٍ بحيلةٍ محال
- ٤ ويصبرُ فيه ذو الشجاعة والندى على الذَّلِّ للمأمور والعليج والوالي

النزاع بين جعفر بن عتبة وبني عَقِيل :

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ثلاث روايات فيها اختلاف أدت إلى النزاع بين جعفر وبني عَقِيل ثم إلى قتله.

الرواية الأولى : وهي رواية أبي عمرو الشيباني :

خرج جعفر بن عتبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والنضر بن مضارب معاوي فأغاروا على بني عَقِيل، وأن بني عَقِيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصابة لقيتهم أخرى حتى أنهوا إلى بلاد بني نهد، فرجعت عنهم بنو عَقِيل، وقد كانوا قتلوا فيهم

الرواية الثانية : وهي رواية ابن الكلبي :

وذكر أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن عتبة وبني عَقِيل أن إياس بن يزيد الحارثي، وإسماعيل بن أحمَر العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إبل لمولاها، في موضع يقال له : صمعر من بلاد بلحارث، فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي، وخنقه العقيلي حتى صرعه؛ ... ثم تفرقا، وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم...

ثم بلغهم بيت قيل وهو :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْعَبْدَ الزَّيَادِيَّ مَا رَأَى بِصَغَمَرَ وَالْعَبْدَ الزَّيَادِيَّ قَائِمٌ
فَغَضِبَ إِيَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَلَقِيَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ النَّضْرُ بْنُ مِضَارِبٍ ذَلِكَ الْعَقِيلِيَّ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ فَشَجَّهَ شَجَتَيْنِ، وَخَنَقَهُ، فَصَارَ الْحَارِثِيُّونَ إِلَى الْعَقِيلِيِّينَ
فَحَكَمُوهُمْ فَوَهَبُوا لَهُمْ. ثُمَّ لَقِيَ الْعَقِيلِيُّونَ جَعْفَرَ بْنَ عَلْبَةَ الْحَارِثِيَّ، فَأَخَذُوهُ فَضَرَبُوهُ
وَخَنَقُوهُ وَقَادُوهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَطْلَقُوهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ إِيَّاسُ بْنُ يَزِيدَ فَقَالَ يَتَوَجَّعُ الْجَعْفَرُ :
أَبَا عَارِمٍ كَيْفَ اغْتَرَرْتُ وَلَمْ تُكُنْ تُعَرِّ، إِذَا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَازِرُهُ
فَلَا صَلُحَ حَتَّى يَخْفُقَ السِّيفُ خَفَقَةً يَكْفُ فَتَى جَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَائِرُهُ
ثُمَّ إِنْ جَعْفَرَ بْنَ عَلْبَةَ تَبِعَهُمْ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ جَعْدَبُ وَالنَّضْرُ بْنُ مِضَارِبٍ
وَإِيَّاسُ بْنُ يَزِيدَ، فَلَقُوا الْمُهْدِيَّ بْنَ عَاصِمٍ وَكَعْبَ بْنَ مُحَمَّدٍ بَجْرٍ — وَهُوَ مَوْضِعٌ
بِالْقَاعَةِ — فَضَرَبُوهُمَا ضَرْبًا مَبْرَحًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَجَدُوا الْعَقِيلِيِّينَ،
وَهُمْ تِسْعَةٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى خَلَّى لَهُمُ الْعَقِيلِيُّونَ الطَّرِيقَ، ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى
وَجَدُوا مِنْ عَقِيلٍ جَمْعًا آخَرَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ عَلْبَةَ رَجُلًا
مِنْ عَقِيلٍ يُقَالُ لَهُ : تُحْشِيْنَةُ، فَاسْتَعْدَى الْعَقِيلِيُّونَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْخَزَوَمِيَّ، عَامِلَ
مَكَّةَ، فَرَفَعَ الْحَارِثِيِّينَ الْأَرْبَعَةَ مِنْ نَجْرَانَ حَتَّى حَبَسَهُمْ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ
فَخَرَجَ هَارِبًا فَأَحْضَرَتْ عَقِيلٌ قَسَامَةً^(١) حَلَفُوا أَنْ جَعْفَرَ قَتَلَ صَاحِبَهُمْ فَأَقَادَهُ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ

الرواية الثالثة

قال أبو الفرج :

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد فخالف هاتين الروایتين وقال
فيه :

كان جعفر بن علبه يزور نساءً من عَقِيلٍ بن كعب، وكانوا متجاورين هم
وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عَقِيلٌ، فكشفوا دبر قميصه، وربطوه إلى جمته،
وضربوه بالسياط، وكثفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث

(١) شهود بمثلون

إليه، على تلك الحال ليغيظوه ويفضحوه عندهن فقال لهم :

— يا قوم لا تفعلوا، فإن هذا الفعل مثله، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ولا أُلجها. فلم يقبلوا منه فقال لهم :

— فإن لم تفعلوا ذلك، فحسبكم ما قد مضى، ومنوا علي بالكف عني، فإنني أعدّه نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً أو فاقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه.

فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم، حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله .

فلم تمض أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع راحته حتى أُلجها البيوت، ثم مضى فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحبا، وكانت عقيل أقضى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون مفترون ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن عتبة وصاحبا بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السري ابن عبد الله الهاشمي، عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحبسهم، فأقاد من الجراح ودافع عن جعفر بن عتبة — وكان يحب أن يدرأ عنه الحد الخوولة أبي العباس السفاح في بني الحارث — إلى أن أقاموا عليه قسامة أنه قتل صاحبه وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر (المنصور) والتظلم إليه فحيث دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال : وهو ابن أخي جعفر بن عتبة.

رأيي في الروايات الثلاث

توقعنا الروايات الثلاث في إشكالات عديدة :

١ — إذا صححت الرواية الثانية وأن قتل جعفر كان في ولاية إبراهيم بن هشام المخزومي فمعنى ذلك أنه كان شاعراً أموياً وليس من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية.

فقد كان إبراهيم بن هشام عاملاً منذ عام ١٠٦ — إلى عام ١٢١، وقتل عام ١٢٥ هـ (انظر الطبري في أخبار سنوات ١٠٦ — ١٢٥ هـ).

٢ - إذا صحت الرواية الثالثة، وكان قتل جعفر في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي، وقد كان والياً على مكة عام ١٤٣ (انظر الطبري أخبار سنة ١٤٣ هـ) فمعنى ذلك أنه كان من مخضرمي الدولتين، وذلك ما تنص عليه أكثر المصادر.

٣ - ولذلك فنحن نميل إلى الرواية الثالثة وأن قتل جعفر كان في الدولة العباسية في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي على مكة .

٤ - وهكذا يتبين لنا أن تحديد قتل جعفر بن عتبة عام ١٢٥ هـ - كما ورد في أعلام الزركلي - غير دقيق .

٥ - يتبين لنا من الرواية الأولى أن جعفر بن عتبة هو الذي بدأ بالعدوان على بني عقيل بغارته عليهم ولكن يبدو من الروايتين الثانية والثالثة أن بني عقيل هم الذين اعتدوا عليه وضربوه ومثلوا به .

القسامة على جعفر كانت كاذبة :

عندما قال جعفر :

ولم أترك لي رية غير أنسي وددتُ مُعَاذاً كَانَ فِيمَنْ أَتَانِيَا
أراد : وددت أن معاذاً كان أتاني معهم فأقتله :

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل. ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه :

أبَا جَعْفَرٍ سَلَبَ بَنُجْرَانَ وَاحْتَسَبَ أَبَا عَارِمٍ وَالْمُسْتَمْنَاتِ الْعَوَالِيَا^(١)

(الأبيات وأنظر الترجمة ٤١ من أشعار اللصوص وأخبارهم)

ويتبين من أبيات معاذ أن جعفر بن عتبة قتل مظلوماً

(١) سلب : ليس ثياب الخداد السود. أبو عارم : كنيته جعفر بن عتبة .

جعفر يستقبل الموت استقبال الأبطال :

لما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه

— أسقيك شربة من ماء بارد ؟

فقال له :

اسكت لا أم لك. إني إذن لمهيأ^(١)

وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه

فقال :

أشدُّ قبـال نـعلي أن يراني عـُدُوِّي للحوادثِ مُستكيناً^(٢)

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن عتبة نخبة بن كليب، أخو المجنون، وهو

أحد بني عامر بن عقيل فقال في ذلك :

١ شفى النفس ما قال ابنُ عتبة جعفرَ وقولي له: اصبر، ليس ينفعك الصبرُ

٢ هوى رأسه من حيث كان كما هوى عقابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكر^(٣)

٣ أبا عامر فينا عـُرام وشدة وبسطة إيمانٍ سواعدُها شـُـقـرُ

٤ هُمُ ضَرَبُوا بالسيف هامة جعفر ولم يُتجنه برُّ عريضٍ ولا بحرُ

٥ وقُذناه قودَ البكر قسراً وغنوةً إلى القبر حتى ضمَّ أثوابه القبرُ

(وفي هذه الأبيات من الشماتة بالقتيل ما فيها).

عتبة يرثي ابنه :

قال عتبة في رثاء ابنه جعفر :

١ لعمركَ إني يومُ أسلمتُ جعفرأ وأصحابه للموتِ لما أقاتل

٢ كمجتلبي حُبِّ المنايا، وإنما يهيجُ المنايا كلُّ حق وباطل

٣ فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مُغلَّلةٌ أيديهم في السلاسل

(١) مهياف : الذي لا يصبر على العطش.

(٢) قبـال النعل : (بكر القاف) شسع النعل.

(٣) في البيت إقواء.

٤ وَرُبَّ أَخٍ لِي غَابَ لَوْ كَانَ شَاهِدًا رَأَى التَّبَالِيُونَ لِي غَيْرَ خَاذِلٍ^(١)

وَأُمُّ جَعْفَرٍ تَلُومُ أَبَاهُ عَلَى خَذَلَاتِهِ :

قَالَ عَلْبَةُ لِأَمْرَأَتِهِ أُمُّ جَعْفَرٍ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ جَعْفَرًا :

١ لَعَمْرُكَ إِنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ عَلَيَّ - وَإِنْ عَلَّيْتَنِي - لَطَوِيلُ

٢ أَحَاذِرُ أَخْبَاراً مِنَ الْقَوْمِ قَدْ دَنَتْ وَرَجْعَةً أَنْقَاضٍ لَهُنَّ ذَلِيلُ

امرأة تكفن جعفر بن علبه

ذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيدالله الحارثي، حضرت الموسم ذلك العام لما قتل جعفر، فكفتته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريتها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله :

أحفاً عباد الله أن لست رائيماً صحارتي نجد والرياح الذواريا فأجابته فقالت :

١ أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرأ فمئت كمدأ أو عش، وأنت ذليل

مأتم جعفر لا مثيل له في العرب :

لما قتل جعفر بن علبه قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال :

- ابكين معنا على جعفر

فما زالت النوق ترغو، والشاء تشغو، والنساء يصحن ويبكين، وهو يبكي معهن، فمارئى يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ :

ديوان جعفر

يبدو أن ديوان جعفر كان مجموعاً، وأن هذا الديوان صنعه ثلاثة من العلماء والأدباء هم :

(١) التباليون : أهل تبالة في اليمن

١ — أبو عمرو الشيباني

٢ — والنضر بن الحديد

٣ — وابن الأعرابي.

كما يستدل من الأغاني (الدار : ١١ : ١٤٣ : ١٤٦ — ولكن هذه الدواوين الثلاثة لشعر جعفر ضاعت كلها فيما ضاع من تراثنا العربي.

الغناء بشعر جعفر

ورد في الأغاني صوت يغنى به من شعر جعفر وهو قوله :
عَجِبْتُ لِمِصْرَاهَا وَأَنْسَى تَخَلُّصْتُ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ بِالْقِفْلِ مَعْلُوقُ
أَلَمْتُ فَحَبِئْتُ ثُمَّ قَامْتُ فَرَوَّدَعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
وقال : الشعر لجعفر بن علبة، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة ...

قصيدتا جعفر بن علبة وهو في سجنه قبل قتله

لجعفر بن علبة قصيدتان نظمهما في سجنه قبل قتله :

١ — قصيدة قافية مشهورة يذكر فيها زيارة حبيته له قبل قتله، وأنها لم تكدر
تسلم حتى ودعته، ويذكر شجاعته في استقبال الموت، وأن حبها هو الذي يرهقه
وهو سجين، كما كان يرهقه وهو طليق.

٢ — وقصيدة ثانية يائية نظمها قبل القصيدة القافية يفتخر فيها بشجاعته وانتصاره
على بني عقيل وقتله لهم، ثم يذكر حنينه لدياره ورمالها ورياحها، وشوقه إلى
نساء قبيلته من بني عامر ويطلب منهن البكاء عليه، وألا لقاء بعد اليوم، ويطلب
تعطيل ناقته لتبكي عليه وتبكي الباكين وتضحك الشامتين، ثم يوصي أهله بابه
عازم ليكون مثله شجاعاً ويسد مكانه .

القصيدة الأولى

قال جعفر بن عتبة، قبل أن يقتل، وهو محبوس^(١) :

- (١) هوائي مع الركب اليمانيّ مُصْعَدٌ جنيبٌ، وجُثماني بمكة مؤثَقُ
(٢) عجبْتُ لِمَسْرَاحِهَا وَأَنْتِي تَخْلُصْتِ إلَيَّ وبابُ السجن دُونِي مُعْلَقُ
(٣) أَلُمْتُ فَحَيْثُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فلما تَوَلَّيْتُ كَادَتِ النَّفْسُ تَرْهَقُ
(٤) فَلَا تَحْسِبِي أَلِي تَحْشَعْتُ بَعْدَكُمْ لشيءٍ وَلَا أَنْتِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
(٥) وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعَيْدُهُمْ وَلَا أَنْتِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَنْحَرَقُ
(٦) وَكَيْفَ وَفِي كَفِّي حَسَامٌ مُذَلَّقُ يَعْضُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ وَيَعْلَقُ
(٧) وَلَكِنْ عَرَّيْتَنِي مِنْ هَوَاكِ صِبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مَطْلُوقُ

القصيدة الثانية

وقال جعفر بن عتبة قبل قتله ونلاحظ أنه نظم قصيدته على وزن وقافية قصيدة جده : عبد يغوث بن صلاءة (اقرأ الترجمة) بل إن بعض أبياتهما ومعانيهما متقاربة، فقد قال عبد يغوث :

أَحَقًّا عِبَادُ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا نَشِيدَ الرِّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمُتَالِيَا
وقال جعفر :

أَحَقًّا عِبَادُ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا صَحَارِي نَجْدٍ وَالرِّيَاحَ الدَّوَارِيَا
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمِحْنَةَ وَاحِدَةٌ وَأَنَّ الْعَوَاطِفَ فِيهَا وَالْمَشَاعِرَ فِيهَا مُتَشَابِهَةٌ.

(١) التخرج : الأغاني (الدار) ١٣ : ٥١ والخزائن : ٤ : ٣١٩ - ٣٢١ وبعض الأبيات في الحماسة...

(١) مصعد وجنيب ماش إلى جانبكم.

(٢) ألي هنا : كيف

(٤) أفرق : أتناق

(٥) يزدهيه : يربعه ويستخفه

(٦) مذلّق : قاطع مسنون. هلمات : ج هامة : الرأس

قال جعفر (٥) :

- (١) ألا لا أبالي بعدَ يومي بسحبِل
(٢) تركتُ بأعلى سحبِل ومضيقيهِ
(٣) شفيتُ به غيظي وجُربَ موطني
(٤) أرادوا ليثُنوني فقلت: تَجَنَّبُوا
(٥) فديّ لبني عَمِ أجابُوا لدعوتي
(٦) كانَ بني القرعاء يومَ لقيتهم
(٧) تركناهم صرعى كأنَّ ضجيجهم
(٨) أقولُ : وقد أجلتُ عن القومِ عركةً
(٩) فإنْ بقُرى سحبِل لأمارَة
(١٠) ولم أتركْ لي ريةً غيرَ أني
(١١) فتصدقه النفسُ الكذوبُ بسألتني
(١٢) شفيتُ غليلي من خشينةٍ بعدما
(١٣) أحقاً — عباد الله — أنْ لستُ راثياً
(١٤) ولا زائراً شَمَّ العرائينِ أنتمي
(١٥) إذا ما أتيت الحارثيات فأنعني
(١٦) وقودُ قلوصي في الركابِ فإنَّها
(١٧) أوصيكمُ — إن متُّ يوماً — بعارمِ
- إذا لَسَمَ أَعْدَبُ أن يحيى حماميا
مراق دم لا يبرح الدهر ثاويها
وكانَ سناء آخر الدهر باقيا
طريقي، فمالي حاجةٌ مِن وراثيا
شَفَوْا من بني القرعاء عَمي وخاليا
فراخ القطا لاقين صقراً يمانيا
ضجيج دباري النيب لاقتُ مداويا
ليبك العقيلين مَنْ كان باكيا
ونضح دماءٍ منهم ومحاييا
وددتُ معاذاً كان فيمن أنانيا
وبعلم بالعشواء أن قد رآنيا
كسوت الهديل المشرفي اليمانيا
صحاري نجد والرياح الذواريا
إلى عامرٍ يحلّلن رملاً معاليا
هنَّ وخبرهنَّ أن لا تلاقيا
ستضحكُ مسروراً وتبكي هواكيا
ليغني شيئاً أو يكونَ مكانيا



- (٥) التخرج : الأطلال (الدار) ١٣ : ٤٧ — ٤٨. الحماسة (المرزوقي) : ٣٥٦ — ٣٥٨ وبعضها في الوحشيات : ٢٣
(١) سحبِل : موقع دارت فيه معركة
(٥) بنو القرعاء : من بني عقيل أعداء جعفر
(٧) دباري النيب لاقت مداويا : النوق الجرد، إذا لقيت من يدويها بالكي أو بالقطران
(٨) عركة : شر وهزيمة.
(٩) أمارَة : علامة.
(١٢) خشينة والهديل : رجلان من عقيل.
(١٤) شم العرائين : النساء الجميلات الأنوف من بني عامر.
(١٦) قود قلوصي : سق ناقتي مع نوق أهلي.
(١٧) عارم : ابن جعفر

أبونواس

(١٤٦ - ١٩٨ هـ)

(٧٦٣ - ٨١٤ م)

الحسن بن هانيء الحكيم أبونواس أشهر من أن يعرف به، أو أن يشار إلى مصادره، ولذلك تركت ترجمته وأغفلت ذكر مصادره .

ولكني أحب أن أشير إلى نقطتين اثنتين عرفتُهما في أبي نواس .

أولاهما : أن الشعر كان أقل بضاعته، فقد كان فقيهاً وعالمًا، أراد أن يكون نديماً للخلفاء يقوم سواء، فلما أخفق في تحقيق ما يريد عاش مستهتراً وطلب العزاء في الحياة اللاهية . أليس هو القائل :

سأبغى الغنى إما نديم خليفة يقسومُ سواءً أو مخيف مبيـل
بكل فتى لا يُستطار جنائسه إذا نوه الزحفان بأسم قـتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر وذو بطنة للطيبات أكول
والظاهر أنه خاف الثورة والقتال، فاكتفى من الدنيا بالخمر والمتعة ووجد فيها عزاء له عن صحبة الخلفاء وقيادة الثائرين .

ثانيهما : أن أبانواس رغم حياته الظاهرية الحافلة باللهو والمجون والاستهتار يخفي بين ضلوعه نفساً متشائمة وينظر إلى المجتمع والحياة نظرة سوداء .

وحسبك أن أبا العتاهية، وهو أكثر شعراء العربية قولاً في الزهد. شهد لأبي نواس بالتفوق عليه، فكان يقول :

«سبقني أبونواس إلى ثلاثة أبيات وددت أني سبقته إليها بكل ما قلته. فإنه أشعر الناس فيها»، ثم يعود فيقول : «قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت، وددت أن أبانواس له ثلثها بهذه الأبيات الثلاثة :

ألا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريق
فقل لقريب الدار إنك ظاعنٌ إلى منزل نائي المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق

ولعل أبانواس كان يتحدى الحياة والمجتمع بمزيد من اللهو والاستهتار، فقد بلغ مرحلة لا سبيل إلى زيادة ما فيها من بؤس وشقاء وخيبة أمل .

وفي اعتقادي أنه الوجه الثاني من التشاؤم الذي يقابل وجه أبي العلاء، فقد تشاءم أبو العلاء فهجر الحياة وأحجم عن الناس وعن الطيبات حتى جاع أو كاد يجوع وتشاءم أبونواس فأقبل على الحياة فهو لا يكاد يشبع ولا يرتوي.

هاتان هما النقطتان اللتان أحببت أن أشير إليهما قبل أن أورد رثاء أبي نواس لنفسه قبل موته .

أوفى وصف لساعات أبي نواس الأخيرة نجدها في الأغاني ٦ : ١٩٢ وكما ورد في كتاب (بهجة المجالس وأنس المجالس) ٣ : ٣٧٥ — ٣٧٦ وجاء فيه :

قال محمد بن إبراهيم الكاتب : دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي، فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات. فقال : أسندوني، فأسندوه فقال :

— إياي تخوف بالله ؟ قد حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» أتراني لا أكون منهم ؟ وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله . فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة .»

.....

حدث محمد بن يعقوب البزاز : كنت جاراً لأبي نواس، فعدته في مرضه الذي مات فيه، ودخل عليه طبيب نصراني اسمه سعيد، فنظر إليه ووصف له دواء يعلله به، ثم خرج وخرجت بخروجه، فغمزني وقال : مرهم لا يعذبوه بالدواء، فإنه الساعة يموت، فرجعت إليه فقال : سألتك بالله ما قال لك النصراني . فأني رأيته قد غمزك ؟ فقلت : ما عسى أن يقول ؟! فقال : أقسمت عليك لما أخبرتني،

فأخبرته، فرفع عينيه إلى السماء، وسالت دموعه على خديه وقال :
 يارب إني لـم أزل في مثل حال السحره
 حين استلذوا بعري الـديـن وكانوا كـفـسـره
 فآمنوا يوماً فـفا زوا بشـواب البـسـره
 ولم أزل مستشعر الإيـسـمـان يا ذا المقـدره
 فاغفر فإني منك أو لى منهم بالمغفرة

آيات أبي نواس قيل وفاته

حكايثان ترويان عن آيات أبي نواس قيل وفاته
 أما الرواية الأولى؛ فجاء فيها :

رآه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له : ما فعل الله بك! قال :
 غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وسادتي، فنظروا وإذا برقعة تحت وسادته
 في بيته، فيها مكتوب (الآيات)، وفي هذه الرواية ما فيها من زخرف وتزيين .

أما الرواية الثانية فخالية من الزخرف : قال الرياشي : وجدت تحت الفراش
 الذي مات عليه أبونواس رقعة مكتوب فيها هذه الآيات :

- ١ يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
- ٢ إن كان لا يرجوك إلا مذنّب فيمن يلوذ ويستجير المحرم
- ٣ أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم ؟
- ٤ مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك، ثم إني مسلم



(٢) وروي إلا محسن، ولعل (إلا مذنّب) أولى بالتوبة

تيم بن جميل السدوسي

(.... - ٢٤٠ هـ)

(.... - ٨٥٣ م)

قدم للموت فقال قصيدته يرثي نفسه فنجا من القتل.

* اسمه وحياته:

لأنعرف منه غير اسمه واسم قبيلته وأبياته عند تعرضه للقتل في زمن المعتصم، ثم عفو الخليفة عنه، ونجاته من الموت وعودته إلى أهله.

* الخلاف حول الشاعر صاحب الأبيات:

١ - جاء في العقد الفريد ٢ : ٢٧ - ٢٨ مايلى:

قال أحمد بن أبي دؤاد: مارأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب، حين يجلس للعامة، ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف، فأحضرا، فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيماً وسيماً، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال:

يا تميم إن كان لك عذر فات به، أو حجة فادل بها.

فقال:

أما وقد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين. يا أمير المؤمنين؛ إن الذنوب تخرس الألسنة؛ وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت الجريمة وكبر الذنب، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربها منك وأسرعها إليك أولاهما بامتنانك، وأشبههما بخلائقك.

ثم أنشأ يقول:

الأبيات

قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، اذهب فقد

غفرت لك الصبوة، وتركتك للصيبة.

وأورد ابن عبد ربه تسعة أبيات لتعيم:

٢ - أما الحصري صاحب زهر الآداب فيوافق ابن عبد ربه في صاحب القصة ويضيف شيئاً من التفاصيل قال: ٢ : ٨٣٩ - ٨٤٠ : وكان تميم بن جميل السدوسي قد أقام بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره وبعد ذكره؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه، فتبدد جمعه، وظفر به فحمله موثقاً إلى باب المعتصم فقال أحمد بن أبي دواد:

ويورد كلام القاضي بنصه ويضيف:

ثم أمر (المعتصم) بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات. وأورد الحصري لتعيم سبعة أبيات:

٣ - أما ياقوت الحموي فيخالف الحصري وابن عبد ربه في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة الذي عفا عنه، معجم البلدان: رجة مالك بن طوق:

١ - الشاعر هو مالك بن طوق.

٢ - الخليفة هو هارون الرشيد.

وبعد أن يسرد ياقوت شيئاً من خبر مالك بن طوق وعلاقته بالرشيد يقول: أنفذ إليه (مالك بن طوق) الرشيد يطلب منه مالاً فتعلل عليه بعلّة ودافعه عن حمل المال، ثم نفي الرسول إليه وكذلك راسله ثالثاً، وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد نحمله مكبلاً بالحديد، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام، لم يسمع منه كلمة واحدة، كان إذا أراد شيئاً أو ما برأسه ويده، فلما مضت له عشرة أيام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين، والوزراء والحجّاب والأمراء بين يدي الرشيد، فلما مثل بين يديه قبل الأرض ثم قام قائماً لا يتكلم، ولا يقول شيئاً ساعة أمة قال: فدعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه، فقال له يحيى (البرمكي): يلك يامالك لم لا تتكلم؟ فالتفت إلى الرشيد فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين...

ويورد ياقوت مثل كلام ابن عبد ربه والحصري في الاعتذار، ثم أنشأ يقول:

الأيـات

قال: فبكى الرشيد بكاء تبسم ثم قال: لقد سكنت على همة، وتكلمت على علم وحكمة، وقد وهبتك للصبيّة فارجع إلى مالك، ولا تعاود فعالك، فقال سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة، ثم انصرف من عنده بالخلع والجواهر.

تلك ثلاث روايات، تتفق اثنتان منها اتفاقاً كاملاً في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة، وتختلف الثالثة عنها اختلافاً مبيّناً، فما هو الرأي الصحيح؟..

نحن نرجح، بل نكاد نقطع أن الأبيات لتميم بن جميل، وأن الحادثة جرت في أيام المعتصم وذلك:

١ - الروايتان الأولى والثانية متفقتان.

٢ - الروايتان توردان الحادثة على لسان شاهد عيان هو القاضي أحمد بن أبي دواد.

٣ - في زهر الآداب أن مالك بن طوق هو الذي نولى قتال تميم بن جميل وأسرهم وحملهم موثقاً إلى باب المعتصم.

٤ - وأكثر من ذلك أن ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ) والخصري (.... - ٤٥٣ هـ) أقرب عهداً لزمان المعتصم من ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ).

٥ - ثم إن الدولة العباسية في عهد الرشيد كانت في أوج قوتها وتماسكها ولم يرد في التاريخ نبأ عصيان قام به مالك بن طوق على الرشيد، فقد ورد ذكره عرضاً في الطبري ٢ : ١١٧ و ٩ : ٢٨٧ وورد في الأعلام في ترجمة مالك بن طوق (.... - ٢٥٩ هـ) (.... - ٨٧٣ م) مايلي:

مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم: أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي وبنى بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة» التي على الفرات وتعرف برحبة مالك، نسبة إليه..

٦ - نخلص مما تقدم أن ماورد في زهر الآداب وفي العقد الفريد صحيح وأن ماورد في معجم البلدان ليس صحيحاً.

وبقي علينا إن تيسر لنا الأمر أن نجد أخباراً أخرى وافية على حياة تميم بن جميل...

الآبيات

قال تميم:

- ١ - أرى الموت بين السيف والنّطع كامناً
 - ٢ - وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
 - ٣ - وأي أمرىء يدلي بعذرٍ وحجة
 - ٤ - يعزُّ على الأوس بن تغلب موقف
 - ٥ - وما جزعي من أن أموت وإنني
 - ٦ - ولكن خلفي صبية قد تركتهم
 - ٧ - كأنّي أراهم حين أنعم إليهم
 - ٨ - فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة
 - ٩ - وكم قاتل لا يبعد الله دأره
- يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأي أمرىء مما قضى الله يقلت؟
وسيف المنايا بين عينيه مضلت؟
يهرُّ عليّ السيف فيه وأسكت
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
وأكبّادهم من حسرة تنفتت
وقد تخشوا تلك الوجوه وصوتوا
أذود الردى عنهم وإن بت موتوا
وأخر جذلان يسرّ وينسفت

• استطراد:

في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب للدكتور أحمد مختار البزرة تعليق على أبيات تميم أحببت إيراده ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

وفي مواقف أخرى تستقطب المخاوف والأحزان حول عنصر خارجي وثيق الصلة بمواقف الشاعر، وقد استطاع أحد الشعراء بحديثه أن يحمل نفوس السامعين على التعاطف والتداعي له، وأن يغير خاتمة الموقف الفاجع إلى نجاة قال:

وما جزعي من أن أموت وإنني
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
وأكبّادهم من حسرة تنفتت

(١) البيت (٥) في ياقوت: وما لي خوف.

(٢) البيت (٦) في ياقوت: من خشية.

(٣) البيت (٨) وروي سألين بدل خافضين.

فلإن عشت عاشوا سالمين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
والشاعر في هذه الأبيات اعترف بالجزع وإن أنكر خوفه من الموت. وإذا كان
الأطفال الصلة فيما بينه وبين الحياة، والقوة الجاذبة. فهو قول جميل فيه الكثير من النبل
والإخلاص، ولكن أطفاله - في الحق - كانوا في قرارة نفسه هم الحياة، فالحياة كلها
توهج في حبه لأولاده، وتعلقه بهم تعلقه بالبقاء، فكان أولاده رمزاً للحقيقة الخالدة التي
هي حب الحياة.



الحلاج
الحسين بن منصور

(... - ٣٠٩ هـ)

(... - ٩٢٢ م)

المصادر

- ١ دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧
- ٢ تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٧
- ٣ طبقات الصوفية ٣٠٧
- ٤ البداية والنهاية ١١ : ١٣٢
- ٥ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٣٩
- ٦ وفيات الأعيان ١ : ١٤٦
- ٧ تاريخ بغداد ٨ : ١١٢
- ٨ ماسينيون (أخبار الحلاج)
ومصادر أخرى كثيرة...

إسمه وكنيته :

الحسين بن منصور الحلاج، يكنى أبا المغيث وقيل أبا عبدالله.

حياته :

قال ابنه أحمد بن الحسين بن منصور(*) :

مولد والدي الحسين بن منصور بالبيضاء في موضع يقال له : الطور، ونشأ بتستر... ثم صعد إلى بغداد.. وأول ما سافر من تستر إلى البصرة كان له ثمان عشرة سنة... ثم تزوج والدي أم الحسين بنت يعقوب الأقطع... ثم خرج إلى مكة وجاور سنة ورجع إلى بغداد... وأخذ والدي ورجع إلى تستر وأقام نحواً من سنة... ثم خرج وغاب عنا خمس سنين بلغ إلى خراسان وما وراء النهر، ودخل إلى سجستان، وكرمان ثم رجع إلى فارس... ثم صعد من فارس إلى الأهواز وأنقذ من حملي إلى عنده... ثم خرج إلى البصرة وأقام مدة بسيرة، وخلفني بالأهواز عند أصحابه، وخرج ثانياً إلى مكة، ورجع إلى البصرة وأقام شهراً واحداً وجاء إلى الأهواز وحمل والدي وحمل جماعة من كبار الأهواز إلى بغداد، وأقام في بغداد سنة واحدة ثم قال لبعض أصحابه :

- احفظ ولدي أحمد إلى أن أعود أنا فإني قد وقع لي أن أدخل إلى بلاد الشرك وأدعو الخلق إلى الله عز وجل وخرج، فسمعت بخبره أنه قصد إلى الهند ثم قصد خراسان ثانياً ودخل ما وراء النهر وتركستان إلى ماصين، ودعا الخلق إلى الله تعالى... ثم كثرت الأقاويل بعد رجوعه من هذه السفرة فقام وحج ثالثاً وجاور سنتين. ثم رجع وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار ببغداد وبني داراً...

(*) تاريخ بغداد ٨ : ١١٢...

حديث حجه (٥)

دخل الحسين بن منصور إلى مكة، وكان أول دخلته، فجلس في صحن المسجد سنة لا يرح من موضعه إلا للطهارة أو للطواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل إليه كل عشبة كوز ماء للشرب وقرص من أقراص مكة، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه ويشرب شربتين من الماء، شربة قبل الطعام وشربة بعده، ثم يضع القرص على رأس الكوز فيحمل من عنده.

سجنه :

كثرت أقاويل الناس حول الحلاج، فكان يقول قوم : إنه ساحر، وقوم يقولون : مجنون وقوم يقولون : له الكرامات واختلفت الألسن في أمره حتى أخذه السلطان وحجسه...

عقيدة الحلاج :

ما أظن أن أحداً في الإسلام اختلف الناس في عقيدته اختلافاً عجبياً، كما اختلفوا في عقيدة الحلاج. جاء في دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٨ ما يلي :

(وقل بين المسلمين من ثار حوله الجدل، كما ثار حول الحلاج، ذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية على الرغم من إجماع القضاة على تكفيره) وقد انقسم المسلمون في أمره ثلاثة أقسام :

١ - قسم يقول بتكفيره

٢ - قسم يقول بولايته

٣ - قسم ثالث توقف في الحكم عليه

وتسرد دائرة المعارف الإسلامية أسماء عدد كبير من هذه الأقسام الثلاثة ويمكن لمن يريد الإطلاع على هذه الأسماء مراجعتها فيها، وهي تضم رأي الفقهاء والمتكلمين والحكماء والصوفية، وبعض العلماء المعاصرين.

حجسه :

كثرت الوشايات بالحلاج، وانتهى خبره إلى السلطان يعني المقتدر بالله، فلم يقر

(٥) تاريخ بغداد : ٨ : ١١٨

بما رمي به من ذلك، وعاتبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادي عليه بما ذكر عنه. ثم ينزل به، ثم يحبس فأقام في الحبس سنين كثيرة (ورد في الموسوعة الإسلامية ٨ : ١٧ : وأمضى ثماني سنوات في سجن بغداد).

قتله وصلبه :

أمر أمير المؤمنين (المقتدر) بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمر أن يكشفه بحضرة القضاة، ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره... ووقف على ما ذكر له عنه، فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي، يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه وحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور السجن الجديد، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٧)

ساعات العلاج قبل قتله، وموقفه :

لما كان الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل، فصلى ماشاء الله. فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه، ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ...

ولما حبس العلاج قيد من كعبه بثلاثة عشر قيداً، وكان يصلي مع ذلك في كل يوم وليلة ألف ركعة، وقطعت أعضاؤه يوم قتل عضواً عضواً وما تغير لونه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال أحد شهود قتله، كنت أقرب الناس من العلاج فضرب كذا وكذا سوطاً، وقطعت يداه ورجلاه فما نطق.

وقال شاهد آخر : كنت أقرب الناس من العلاج حين ضرب، وكان يقول مع كل صوت (ولعلها سوط) أحد أحد. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال خادم الحلاج :

لما كانت الليلة التي وعد من الغد بقتله، قلت له : يا سيدي أوصني. فقال لي : عليك نفسك، إن لم تشغلها شغلتك، قال : فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال : حسب الواحد أفراد الواحد له، ثم خرج يتبختر في قيده ويقول :

نُـدِـيـي غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى شَيْءٍ مِّنَ الْحَيِّـيْنِ
سَقَمَانِي مَثَلُ مَا يَشْرَبُ فَعَلَ الضَّيِّفُ بِالضَّيِّفِ
فَلَمَّا دَارَتْ الْكَأْسُ دَعَا بِالنَّطْعِ وَالسَّيْفِ
كَذَا مَنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ التَّيْنِ فِي الصَّيْفِ

أنها الحق (١) ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١ - ١٣٢).

وقال شاهد ثالث :

آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله وصلبه أن قال : (حسب الواحد أفراد الواحد له) فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له واستحسن هذا الكلام منه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٢)

وقال شاهد رابع :

لما أدنى إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول : يا معين الفنا علي أعني على الفنا. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠)

وورد في تاريخ بغداد (٨ : ١٣٣)

أمر المقتدر أن يدفع إليه (إلى حامد بن العباس) فقبضه واحتفظ به، وكان يخرج كل يوم إلى مجلسه، ويتسقطه ليتعلق عليه بشيء يكون سبيلا له إلى قتله. فكان الحلاج لا يزيد على إظهار الشهادتين والتوحيد وشرائع الإسلام...

رأي في أسباب قتل الحلاج :

اعتاد الحكام تغطية جرائمهم في قتل المفكرين بتهمة الإلحاد والزندقة، وأعتقد

(١) الآية : ١٨ السورة : الثوري

أن الحلاج كان من هؤلاء الضحايا. ومن المؤكد أن الحلاج بلغ مرتبة مرموقة بين الناس، وأن الحكام خافوا شهرته فرموه بالزندقة ليتخلصوا منه ثم قتلوه. وفي (تاريخ بغداد ٨ : ١١٢ - ١٤١ ترجمة الحلاج) ولعلها أطول ترجمة له وهي تنبئ بنفوذ الحلاج السياسي والديني، وإليك هذه الشواهد :

١ - كان الحلاج يسمو إلى أمر عظيم، ويعرف أنه سيقتل أو سيدرك الأمر العظيم. قال : (تاريخ بغداد ٨ : ١١٧)

ولي نفس سَتَلَف أو سَتَرْقَى لعمرُك يبي إلى أمرٍ جسيم
٢ - وعندما حج الحلاج دخل مكة ومعه أربعمئة (٤٠٠) رجل. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٥)

٣ - ووقع له (للحلاج) عند الناس قبول عظيم حتى حسده جميع من في وقته. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣)

٤ - لما رجع (من رحلته إلى الهند) كانوا يكتبونه من الهند بالمغيث، ومن ماصين وتركستان بالمُقيت، ومن خراسان بالمميز، ومن فارس بأبي عبدالله الزاهد، ومن خوزستان، بالشيخ حلاج الأسرار، وكان ببغداد قوم يسمونه المصطلم، وبالبصرة يسمونه المحبر. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣ - ١١٤)

٥ - لما قدم (الحلاج) بغداد استغوى كثيراً من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله فيهم. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٤)

٦ - وأصبح كذلك داعياً للقرامطة في خراسان والأهواز وفارس والهند والتركستان. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٧ - وسرعان ما اجتمع حوله تلاميذه الحلاجية عند عودته من مكة إلى بغداد عام ٢٩٦ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٨ - وكانت رعاية شغب أم المقتدر، والحاجب نصر للحلاج سبباً في أن عاداه الوزير حامد (بن العباس) فأمر بقتله. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٩ - التمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يسلم إليه الحلاج، ومن وجد من دعائه، فدفع عنه نصر الحاجب، وكان يذكر عنه الميل إلى الحلاج (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٣)

من هذه الشواهد الدافعة يتبين لنا أن قتل الحلاج كانت له أسباب سياسية (أظنها كانت هي الأسباب الأصلية) إلى جانب بعض الاتهامات الدينية التي لم تثبت. وأعتقد أن الحلاج رجل مسلم مؤمن ذاب في الله، ودعا إلى وحدة الوجود. وأرى أنه قتل وصلب مظلوماً، كما قتل وصلب ملايين الناس مظلومين من قبله ومن بعده، وما أصدق قول الجواهري :

لشورة الفكر تاريخ يُذكرنا

بأن ألف مسيح دونه صلبا

ذلك هو الحلاج وتلك حياته وأخبار سجنه وقتله وصلبه في اختصار شديد، وهذا رأيي في أسباب قتله، وهي أسباب اختلطت فيها السياسة والدين، والله أعلم..

قصيدته ومقطوعاته عند قتله

للحلاج مقطوعتان قبل قتله، إحداها من ثلاثة أبيات وثانيتهما من أربعة أبيات وله قصيدة ثالثة من ثمانية أبيات.

المقطوعة الأولى :

لما أخرج الحسين بن منصور ليقتل أنشد (١) :

- (١) طلبتُ المُستَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلم أر لي بأرضٍ مُستَقَرًّا
- (٢) وذقتُ من الزمانِ وذاقَ مني وجدتُ مذاقه حُلواً ومُراً
- (٣) أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أتني قنعتُ لكنك حُرّاً

(١) التخریج : تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠ والبداية والنهاية : ١١ : ١٣٢ ... وغيرهما...

المقطوعة الثانية :

فلما أخرج للقتل... خرج يتبعثر في قيده ويقول^(١) :

نـدـيـمـي غـيـرُ مـنـسـوبٍ إلى شيء مـنَ الحـيـثُفِ
سـقـاني مـثـلـمـا يـشـنُ — سـرُّ فـعـلٍ الضـيـفِ بالضـيـفِ
فـلـمـا دـارتِ الكـسـا سُ دَعَا بِالنَّطـعِ والسـيـفِ
كـذا مـنَ يـشـرُّ السـرا خَ مَعَ التـيـنِ في الصـيـفِ

قصيدة الحلاج

قال الحلاج :

- (١) أنـعـى إلـيـك نفـوساً طـاح شـاهـدـها فـيـما ورا الحـيـث أو في شـاهـدِ القـدمِ
- (٢) أنـعـى إلـيـك قـلـوباً طـالـما هـطـلـتْ سـحـائبُ الوـحـي فـيـها أبحـرَ الحـكـمِ
- (٣) أنـعـى إلـيـك لـسـانَ الحـقِّ مـنـك و مـنَ أودى وتـذكـارُه في الوهـمِ كـالـقـدمِ
- (٤) أنـعـى إلـيـك يـبـاناً يـسـتـكـيـنُ لـه أقـوالُ كـلِّ فـصـيحٍ مـقـولٍ فـيـهـمِ
- (٥) أنـعـى إلـيـك إـشـاراتِ العـقـولِ معاً لـم يـسـقُ مـنـهـنَّ إلـا دـارسُ العـلـمِ
- (٦) أنـعـى — و حـقِّك — أخـلاقاً لطائـفةٍ كـانـتْ مـطـايـا هـم مـنَ مُكـمـدِ الكـظـمِ
- (٧) مـضـى الجـمـيـعُ فـلا عـيـنٌ و لا أثـرٌ مـضـى عـادٍ وفـقـدانَ الأوـلى إـرـمِ
- (٨) و تخـلّفـوا مـعـشـراً يـحـذون لبـسـتـهـمُ أعمى مـنَ البـهـمِ بـلْ أعمى مـنَ النـعـمِ

تفسير الأبيات بقلم صديق صوفي رفض ذكر اسمه :

- ١ - نعمى الحلاج طائفة الصوفية الذين حوربوا في عصره، وكان هو على رأس من حورب وقتل. وقوله طاح شاهدها يريد المكاشف من الصوفية، وهو صاحب الذوق، أو العارف بالله، الذي يرى فناء النفوس سواء أكان ذلك في مجال الحيث^(١) أي المكان أو في القدم الخارج عن مجال الحيث.

(١) التخرج : تاريخ بغداد ٨ : ١٣١ ١٣٢ والبداية والنهاية ١١ : ١٣٢ وغيرهما...

(١) لأن النفوس لا تقوم بذاتها، بل بواجب الوجود، فوجود النفوس إضاق.

فالصوفيون يؤمنون بالفناء لأنهم عاشوا مقامه.

٢ - كما نعى الحلاج قلوب العارفين، وهم أصحاب العلم اللدني الذين اصطفاهم الله للوحي والمكاملة. فوصف هذه القلوب بالأرض التي هطلت عليها سحائب الوحي والحكم.

٣ - يعني بلسان الحق، لسان العارف. وهو هنا الحلاج نفسه الذي صار لسان الحق ما دام الحق قد خصه بالوحي. ويذكرنا هذا بوصفه سبحانه وتعالى لرسوله في قوله :

(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (سورة النجم الآية ٣) وبالحديث القدسي القائل : ما يزال العبد يتقرب إليّ بالتوافل حتى أحبه، فإذا أحببته صرت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها...

٤ - وفي البيت الرابع وصف لبيان العارف، ووضح أن بيان الأعلام من الصوفية غير ذي مثيل، ويكفي أن نذكر بيان ابن الفارض والغزالي وابن عربي والحلاج نفسه الذي كان له شعر فصيح رفيع يوازي أفكاره الصوفية قيمة وجمالاً.

٥- ومضى الحلاج يمدح أخلاق الصوفية الذين وصفهم بإشارات العقول^(١)، لما جاوزوا به من علوم ما تزال موضع الحيرة والتجلة حتى عصرنا هذا. والذين لم تبق منهم إلا الهياكل، والذين صدق فيهم قوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (آل عمران الآية ١٣٤) بعد أن لاقوا من العدا والمخاربة ما لاقوا.

٧ - ونختم الحلاج قصيدته بوصف الرعاع الذين بغوا في الأرض بغير الحق، فكانوا أعمى من البهم - البهائم - والنعم - الأنعام.

(١) أي العقول المتفرقة، أو الأرواح النورية، أو الطيف الأولى من الأرواح، وتضم الأنبياء والأولياء الصوفية.

الطفرائي
الحسين بن علي
(٤٥٥ - ٥١٣ هـ)
(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

الطغفرائي^(١)

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ)^(٢)

(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

يرثي نفسه حين أعد السلطان العدة لقتله ثم ينجو ثم يقتل.

* ترجمته:

هو الحسين بن علي بن عبد الصمد المشهور بالطغفرائي، يكنى أبا اسماعيل ويلقب مؤيد الدين، وينعت بالأستاذ، ولد عام ٤٥٥ هـ من أسرة عربية تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي، في «جي» من أعمال أصبهان.

والطغفرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء، وهذه نسبة إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعت الملك والقباء، وهي لفظة أعجمية.

عاش الطغفرائي في ظل الدولة السلجوقية، واشتغل في ديوان الإنشاء، وترقى في مناصب الكتابة حتى تولى رئاسة الديوان، ثم عزل عنه في عام ٥٠٥ هـ، والظاهر أن عزله أثر في نفسه أثراً كبيراً، وهو الذي كان يطمح إلى أعلى من هذا المنصب، فنظم قصيدته اللامية (لامية العجم) معبراً عن آلامه من العزل وعطله من العمل.

وعاد الطغفرائي إلى الديوان وتولى الوزارة في عهد السلطان مسعود بن محمد السلجوقي، ونشبت الحرب بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود، فانتصر محمود وقبض على الطغفرائي، وزير مسعود، قال العماد الكاتب في تاريخ الدول السلجوقية: «فاول من أخذ الأستاذ أبو اسماعيل (الطغفرائي) وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي، فقال الشهاب أسعد، وكان طغفرائياً في ذلك الوقت؛ نيابة عن النصر الكاتب: هذا الرجل ملحد - يعني الأستاذ - فقال وزير محمود: من يكن ملحداً يقتل، فقتل ظلماً، وقد كانوا خافوا منه

(١) اللاميان إعداد وشرح عبد المعين اللوحي (ف - ق).

(٢) في حياته وموته خلاف قليل (٤٥٣ - ٥١٥ هـ) وقصصنا تاريخ «الإعلام له».

لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة^(٣).

• ساعات الطغرائي الأخيرة:

ويروى الصفدي قصة الساعات الأخيرة من حياة الشاعر ويعلق عليها فيقول:
«أخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة
المحروسة أن الطغرائي لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به أن يشد إلى شجرة، وأن يقف
تجاهه جماعة ليرموه بالسهم ففعل به ذلك، وأوقف إنساناً خلف الشجرة من غير أن
يشعر به الطغرائي وأمره أن يسمع مايقول، وقال لأرباب السهام، لا ترموه إلا إذا أشرت
إليكم فوقفوا والسهم في أيديهم مفوفة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

الآيات

• السلطان يطلق سراحه ثم يقتله بدسياسة الوزير:

فرق له السلطان وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير عمل على قتله فيها بعد فقتل.
ولاندري الفترة التي قضاهما بين إطلاق سراحه ثم قتله ولعلها لاتعدو أشهراً.

• تعليق الصفدي على الآيات:

قال الصفدي معلقاً: قلت ماهذا إلا ثبات جنان بل ثبوت جنون، لقد أرى هذا
في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات إلى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى
لمحبوبه في السراء والضراء على عنرة العبي وغيره ممن تبعه من الشعراء حين قال:
«ولقد ذكرتك» ولم يورد الصفدي البيتين لشهرتهما وهما:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني ويبض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

• آيات الطغرائي قبل قتله:

وردت الآيات أربعة في كل من تحدث عن قتله دون زيادة ولا نقصان:

١ - وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسَدُّ سَهْمَهُ نحوي وأطراف المنيّة شرع

(٣) الفث المسجم في شرح لآله المعجم للصفدي (الفتحة).

- ٢ - والموتُ في لحظاتِ أحورَ طرقه دوني، وقلبي دونه يَتَقَطَّعُ
٣ - بالله فَتَشَّرَ في فؤادي هل يُرى فيه لغبر هوى الأُحبة مَوْضِعُ
٤ - أهونُ به لو لم يكن في طَيِّه عهدُ الحبيبِ وسيره المُستَوْدَعُ

وهكذا تنتهي حياة شاعر عربي نافست قصيدته (لامية العجم) لامية العرب
للشنفرى في شهرتها وتداولها بحجة أنه ملحد، ولم يكن ملحداً، ولكنها مكر الماكرين،
وقد مرَّ معنا في الفصل السابق مؤمن آخر هو الخلاج قتل وصُلب بحجة أنه ملحد.



(١) البيت الثالث في الديوان:

بالله فَتَشَّرَ في فؤادي أولاً هل فيه لله المُنْدُ موضع

متفرقات

متفرقات

أفرد ابن عديربه في كتابه (العقد الفريد) الجزء الثالث : ١٧٦ — ١٨١ فصلاً تحت عنوان (المراثي : من رثى نفسه ورصف قبره وما يكتب على القبر) وجاء في هذا الفصل ذكر ليزيد بن خذاق، وقد أفردنا له فصلاً في كتابنا، ومالك بن الريب. ومرت ترجمته وقصيدته، وهدية بن الخشرم العذري. وله فصل خاص، ولذلك لم نذكرهم في فصل المراثي التي وردت في العقد الفريد، ونورد من لم يرد في كتابنا.



أبو ذؤيب الهذلي^(٥)

- (١) أعاذل أبقي للسلامة حظها إذا راح عني بالعجيلة عائيدي
- (٢) فقالوا : تركناه تزلزل نفسه إذا أسندوني أو كذا غير سائدي
- (٣) وقام بناتي بالنعال حواسراً والصقن ضربت السبت تحت القلائد
- (٤) يودون لو يقدوني بنفوسهم ومشي الأواقي والقيان التواهد
- (٥) وقد أرسلوا فراطهم فتائلوا قليلاً سفاها كالإماء القواعد
- (٦) مطأطأة لم يتبطوها وإنها ليرضى بها فراطها أم واحد
- (٧) قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا إلي بطاء المشي غير السواعد
- (٨) يقولون لما جشت البئر : أوردوا وليس بها أدنى ذفاف إوارد
- (٩) فكنت ذنوب البئر لما تبسلت وسريلت أكفاني ووسدت ساعدي
- (١٠) أعاذل لا إهلاك مالي ضرني ولا وارثي — إن ثمر المال — حامدي

(٥) التخرج وردت في العقد الفريد ٣ : ١٧٧ ثلاثة أبيات من قصيدة أبي ذؤيب هي ٦ و ٧ و ٩ واستدركنا الأبيات كلها من ديوان الهذليين ١ : ١٢١ — ١٢٣ ، والقصيدة ليست في رثاء نفسه ولكنها في رثاء أصدقائه واستطرد فيها إلى ذكر ما سوف يحل به كما حل بهم.

- (١) يقول : لومي لو ما إذا أردت أن تراجعني كان للامتك خط لا ينقطع
- (٢) إذا أسندوني على الأسد أو كما أنا جالس الآن دون سند
- (٣) قامت بناتي بضرهن صدورهن بالنعال وغورهن. السبت — بكر السين — النعال المدبوغة.
- (٤) مشي الأواقي : أي أواق بعد أواق. والأوقية أربعون درهما. والقيان : ج قبعة، الإماء.
- (٥) فراطهم : ج فراط المتقدمون منهم. سفاها : ترابها. شبه ما خرج من ترابها — وهو أكوام وكتل. بالإماء القواعد. والتائل : الأعاذل من تائل : اتخذ.
- (٦) مطأطأة : منخفضة، لم يتبطوها : لم يستخرجوا ما بها. أرادوا أن تضم ميتاً واحداً وإن فيها مكاناً لأكثر من ميت.
- (٧) الرم : الإصلاح. بطاء المشي : أي مكشيين حزاناً. غير السواعد : آثار التراب على أيديهم وسواعدهم.
- (٨) جشت البئر : كسحت وأخرج ما فيها. الذفاف : الماء القليل. يقول : ليس بها ماء.
- (٩) ذنوب البئر : دلو البئر. تبسلت : كره منظرها، والبسل : الكربة. سريلت أكفاني ووسدت ساعدي، كانت ثيابي أكفاني ووسادتي ساعدي.
- (١٠) لم يضرني ما أنفقت من مالي ولم يحملي من ورث مالي.

ملاحظة : تذكرنا قصيدة أبي ذؤيب الهذلي بدقتها في أوصاف الموت وأوضاع الميت بقصيدة يزيد بن خذاف — فقلن بينهما.

عمرو بن خزام

قال عمرو بن خزام لما نزل به الموت (١)

- (١) مَنْ كَانَ مِنْ أَتْحَوَاتِي بَاكِياً أَبَداً فَالْيَوْمَ، إِنِّي أُرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضاً
(٢) يُسْمَعْنِيه فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضاً



الطرماح

وقال الطرماح (١)

- (١) فَيَارِبِ لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ أَتَيْتُ عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِذِكْرِ الْمَطَارِفِ
(٢) وَلَكِنْ شَهِيداً ثَلَوِيّاً فِي عِصَابَةٍ يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
(٣) إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدٍ مَا فِي الصَّحَائِفِ
(٤) فَأَقْتُلْ قَعَصاً ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي مَفْرَقَةً أَوْصَالُهَا فِي التَّنَائِفِ
(٥) وَيَصْبَحُ قَبْرِي بَطْنِ طَيْرٍ مَقِيلُهُ بِجَوِّ السَّمَاءِ فِي نُسُورٍ عَوَاكِفِ



(١) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧

- (١) أُرَانِي الْيَوْمَ مَيِّتاً فَكَيْفَ كَانَتْ بَاكِياً عَلَى ظَنِّكَنِي هَذَا الْيَوْمَ.
(٢) لِأَنِّي أَسْمَعُ الْآنَ بَكَاءَهُ، أَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا كُنْتُ عَلَى النَّعْشِ فَلَا أَسْمَعُهُ.

(١) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧ والديوان : ٢٢٦

- (١) الشرجع : النعش. يعلى بذكر المطارف : يلف بالأغلبية الداكنة.
(٢) خائف : مخوف. اسم الفاعل نائب نائب اسم المفعول.
(٣) إِذَا قَتَلُوا مَضَوْا إِلَى الْجَنَانِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا الْقُرْآنُ.
(٤) قَعَصاً : طعنا بالرماح وضرباً بالسيوف. التنايف : جمع تنوفة : الصحراء.
(٥) مقيله : مكانه بين النسور. وفي العقد لحي وأصلحناه من الديوان : قري.

ملاحظة : ليست أبيات الطرماح من شرط كتابنا في الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، والقصيدة نظمها الطرماح في حياته وعاش بعدها طويلاً.

محمد بن يسير الرياشي

وقال محمد بن يسير^(١)

- (١) وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
(٢) وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
(٣) مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عَمْرُهُ وَعَاشَ فَمُتَ قَصَارَاهُ
(٤) كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ أَتِيهِ وَأَغْشَاهُ
(٥) صَارَ الْيَسِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ



أبو العتاهية^(٢)

ولما حضرت أبا عتاهية الوفاة، واسمه إسماعيل بن القاسم، أوصى بأن تكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة :

- (١) أَذِنَ حَيِّي تَسْمَعُنِي إِسْمَعُنِي ثُمَّ عِي وَعِي

(١) التخریج : البيان والنبین ٣ : ١٧٢ - ١٧٣ وتاج العروس مادة (يسر) وفيه : أبو جعفر بن يسير البصري وهو القتال يروي نفسه. وفي العقد الفريد ٣ : ١٧٩ محمد بن بشر، ولعله تصحيف. ولم يذكر صاحب العقد من هو : أمرو :

(١) محمد بن بشر الخارجي

(٢) محمد بن بشر العلواني

(٣) محمد بن يسير الرياشي وفيه التصحيف.

ولم نجد هذه الأبيات في ديوان محمد بن بشر الخارجي جمع : محمد عمر البقاعي : دار فنية ١٩٨٥ والنسبة واضحة في البيان وتاج العروس محمد ابن يسير الرياشي البصري وعليها اعتمادنا.

(٢) في البيان : يا حسرتي في كل يوم مضى

(٣) ورد في البيان.

(٥) وروي : محمد صار إلى ربه.

(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨٠.

وأبو العتاهية (١٣٠ - ٢١١ هـ) و (٧٤٨ - ٨٢٦ م) إسماعيل بن القاسم. شاعر مكر عجاسي نشأ في الكوفة وسكن بغداد ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم (الأعلام).

- (٢) أَنَا وَهَنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
 (٣) عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي
 (٤) لَيْسَ شَيْءٌ سِوَى التَّقْسِي فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي
 وعارضه بعض الشعراء في هذه الأبيات وأوصى بأن تكتب على قبره فكتبت وهي :
 (١) أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَضْجَعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
 (٢) صَرَعْتَنِي الْخُتُوفُ فِي السَّحَابِ تَرَبَّيَا ذُلَّ مَصْرَعِي
 (٣) أَيْسَرَ إِنْخَوَاتِي الذِّبْنُ مِنْ إِلَيْهِمْ تَطْلُعِي
 (٤) يَتُّ وَخُدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي



على قبر جارية

جاء في العقد الفريد (٥)

وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة أبيات، فقبل إنها من قول أبي نواس وهي :

- (١) أَقُولُ لِقَبْرِ زُرْتِهِ مَتَلِّمًا سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْرِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ
 (٢) لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرَ الدُّجَى وَشَمْسَ الضُّحَى بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالْعَفْرِ
 (٣) عَجِبْتُ لَعَيْنٍ بَعْدَهَا مَلَتْ الْبُكَاءُ وَقَلْبٍ عَلَيْهَا يَرْتَجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ



(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨٠

(٢) العفر : التراب.

على قبر في الحيرة

جاء في العقد الفريد^(٥)

قال الأصمعي : أخذ بيدي يحيى بن خالد بن برمك، فأوقفني على قبر في الحيرة
فإذا عليه مكتوب :

- (١) إِنَّ بَنِي الْمَنْذِرِ لَمَّا انْقَضُوا بِحَيْثُ شَادَ الْبَيْعَةَ الرَّاهِبُ
- (٢) تَنْفَحُ بِالْمَسْكِ مَحَارِيهُهُمْ وَعَنْبَرٌ يَقْطُبُهُ قَاطِبُ
- (٣) وَالْخُبْزِ وَاللَّحْمِ لَمْ رَاهِنٌ وَفَهْوَةٌ رَاوَوْهَا سَاكِبُ
- (٤) وَالْقَطْنُ وَالْكَتَانُ أَثْوَابُهُمْ لَمْ يَجْلِبِ الصَّوْفُ لَهُمْ جَالِبُ
- (٥) فَاصْبَحُوا قُوتًا لِدُودِ الثَّرَى وَالْدَهْرُ لَا يَتَّقِي لَهُ صَاحِبُ
- (٦) كَأَنَّمَا حَيَاتُهُمْ لَعِبَةٌ سَرَى إِلَى بَيْتِي بِهَا رَاكِبُ



على بعض القبور

جاء في العقد الفريد^(٥)

قال الشيباني : وجد مكتوبا على بعض القبور :

- (١) مَلَّ الْأَحِبَّةُ زَوْرَتِي فَجَفَيْتُ وَسَكَنْتُ فِي دَارِ الْبَلَى فَنُسِيتُ
- (٢) الْحَيَّ يَكْذِبُ لَا صَدِيقَ لِمَيْتٍ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ مَاتَ حِينَ يَمُوتُ
- (٣) يَا مَوْئِسَا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيتُ لَوْ كُنْتُ أَصْدُقُ إِذْ بَلَيْتُ بَلَيْتُ
- (٤) لَوْ كَانَ يَعْمَى لِلْبُكَاءِ مُفْجِعٌ مِنْ طَوِيلِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ عَمِيتُ



(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨١

(٢) يقطبه : يقطعه ويجمعه.

(٦) بين : قال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال.

(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨١.

(٣) يظهر أن قائل هذه الأبيات يرثي صديقه مؤنسا كما ورد في هذا البيت.

ملاحظة : ربما كان ما كتب على القبور ليس من نظم أصحابها وإنما هي من نظم إخوانهم وأصدقائهم في رثائهم.

محمد بن عبدالله

جاء في العقد الفريد»

وقال محمد بن عبدالله :

- (١) وعمّا قليل لن ترى باكياً لنا سيضحك من يكي ويعرض عن ذكرى
- (٢) ترى صاحبي يكي قليلاً لفرقتي ويضحك من طول الليالي على قبري
- (٣) ويحدث إخواناً وينسى مودتي وتشتعل الأحباب عني وعن ذكرى



(٥) التخریج : العقد الفريد : ٣ : ١٨١.

(١) في المطبوعة أن ترى وأصلها.

(٢) يحدث : يحدث.

هو محمد بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب وكان يلقب «المهدي» و«الفرس الزكية». خرج على العباسيين وقتل في عهد أبي جعفر المنصور. هو وأخوه إبراهيم. وانظر أخبارهما في الطبري وفي مصارع الطالبين.

امرؤ القيس

قال امرؤ القيس بعد مقتل أبيه، يذكر ما سيصير إليه (٥) :

- (١) أرانا مَوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَتُسَخَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
- (٢) عَصَافِيرُ وَذَبَّانُ وَدَوْدُ وَأَجْرًا مِنْ مُجَلَّحَةِ الذَّنَابِ
- (٣) فَبَعْضَ اللُّومِ عَاذَلْتَنِي فَإِنِّي سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَانِي
- (٤) إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَّتْ عُروقي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
- (٥) وَنَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُنِي وَجُرْمِي فَيُلْجِقُنِي وَشَيْكَاً بِالتَّرَابِ

ويروى لإمرئ القيس، وهو في أنقرة عند قبر فتاة من بنات الملوك، وقد أحسَّ السَّم أَنَّهُ قَالَ (٥) :

- (١) أَجَارَتْنَا إِنْ الْخَطُوبُ تَنُوبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
- (٢) أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
- (٣) فَإِنْ تُصَلِّينَا، فَالْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وَإِنْ تُصَرِّمِينَا فَالْقَرِيبُ غَرِيبُ



(٥) التخريج : الديوان : ٢٨.

امرؤ القيس : أشهر من أن يعرف به.

(١) موضعين : سائرين.

(٢) مجلحة الذناب : المصممة، يعني أننا على ضعفنا أشد جرأة من الذناب.

(٤) إلى عرق الثرى : إلى تراب الأرض. وشجت : اتصلت وتغلغلت.

(٥) وشيكا : سريعا.

(٥) التخريج : الديوان : ٣٤.

(١) عسيب : إسم جبل.

(٢) يعني أن القرابة نسب.

(٣) يعني أنه لا غربة مع الوصل. ولا قرابة مع الهجر.

ملاحظات

على (المفرقات) في الكتاب

ليس من شرط الكتاب إلا ذكر الشعراء الذين اشتهروا برثاء أنفسهم قبل الموت،
ومع ذلك :

أ - توسعت فذكرت بعض الشعراء الذين نظموا أبياتاً في حياتهم أو قبيل موتهم
وإن كانوا غير مشهورين برثاء أنفسهم مثل امرئ القيس وأبي نواس ومحمد
بن يسير وصرم بن معشر...

ب - أوردت بعض ما كتب على القبور ممن أوصى بكتابة أبياته على قبره بعد
موته. كأبي العتاهية، أو ممن رثاهم أصدقاؤهم بعد موتهم وكتبوا رثاءهم
لهم على قبورهم، وهذا الباب طويل لا ينتهي فاكفيت بما ورد في العقد الفريد.
ج - تركت الشعراء المشهورين الذين أوردتهم صاحب العقد والذين رثوا أنفسهم
قبل موتهم مثل يزيد بن خذاق، ومالك بن الربيع وهذبة بن الحشرم، لأني
ذكرتهم في فصول خاصة بهم.

عبدالمعين الملوحي

الفهرس

صفحة	
٥	المقدمة
٩	يزيد بن خذاق
١٣	بشر بن أبي خازم
٢١	طرفة بن العبد
٣١	صرم بن معشر (أفنون)
٣٥	عبد يغوث بن صلاءة
٤١	قيس بن الخدادية
٤٧	خبیب بن عدي
٥٥	سحيم عبد بني الحسحاس
٦٣	هدبة بن الحشرم
٧٥	مالك بن الريب
٨٣	مرة بن محكان
٨٩	جعفر بن علبة
١٠١	أبونواس
١٠٥	نسيم بن جميل السدوسي
١١١	الحلاج
١٢١	الطغرائي
١٢٥	متفرقات
١٢٧	أبو ذؤيب الهذلي
١٢٨	عروة بن خزام

١٢٨	الطرماح
١٢٩	محمد بن يسير
١٢٩	أبو العتاهية
١٣٠	على قبر جارية
١٣١	على قبر في الحيرة
١٣١	على بعض القبور
١٣٢	محمد بن عبدالله
١٣٣	إمرؤ القيس
١٣٤	ملاحظات
١٣٥	الفهرس

